

الإسلام في الحبشة

وثائق صحيحة قيمة ، عن أحوال المسلمين في مملكة أثيوبيا ،
من شروق شمس الاسلام ، إلى هذه الأيام

تأليف



مفتش الآثار العربية سابقاً ، ومدرس الخط الكوفي
بمدرسة تحسين الخطوط الملكية

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة لل المؤلف

القاهرة في شعبان سنة ١٣٥٤ هـ (نوفبر سنة ١٩٣٥ م)

مطبعة حجازى بالقاهرة

تليفون ٥٥٤٨٠

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا



الحمد لله على نعمته الاسلام

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام ، الذي جاء
بالمهدي ودين الحق ، فأنا نور هديه غياهب الظلام ،
وحلّ بشريعته عقدة التباغض بين الخلق ، وأحلّ محلها
المحبة والوئام ، وعلى آله ، وأصحابه ، الطيبين ، الطاهرين ،
الكرام ، الذين أقاموا العدل ، وحكموا به ، فكانوا للفضيلة
خير أئمة ، وللهداية نعم الأعلام ، فقضوا بفصل قضائهم
على الشرور والآثام ، ونشروا بالخير على البسيطة أجنحة
السلام .

رضى الله عنهم وأرضاهم ماتوا في الأيام ؟

أما بعد : فانا نغتتم فرصة عطف الشعوب الاسلامية ، في مختلف الأقطار ، على مساعدة الحبشة ، فنبين لهم حال الاسلام ، والمسلمين ، في الحبشة ، من وقت أن هاجر إليها طائفة من أصحاب رسول الله ﷺ هرباً من ظلم قريش ، إلى هذه الأيام . علمهم بعد أن يقرأوا هذه الوثائق الصحيحة ، بطالبون «التجاشي» العاهل الشرقي العظيم «جلالة هيلاسيلاسي» تلقاء هذا العطف العام ، بأن يتوجه ، بعد أن تضع الحرب أوزارها ، إلى إصلاح شؤون المسلمين في بلاده ، وإلى كف الأذى عنهم . وأن يتركهم يتمتعون بثمرات قوتهم ونشاطهم ، وذكائهم . وأن يماثل بينهم . وبين أبناء الحبشة المسيحيين ، في العدل ، فيفك عن أعناق المسلمين . ما وضعه فيها أسلافه ، من أغلال الضغط على حرثتهم في الدين ، والتجارة ، والصناعة ، والزراعة . وأن يمنع عدوان الرؤس الجبابرة عن أموالهم - إلا بحق - وأن يصون أرواحهم وأعراضهم . فانه إن فعل ذلك ، سبما بمملكته الشرقية ، أدبيا ، واقتصاديا ، وسلم من نقد الناقدين ، وألسنة الناقلين ، ولا نخاله إلا فاعلاً ذلك إن شاء الله تعالى .

وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

تمهيد

قام بعض الكتاب يذ كثرُ المسلمين بما للحبشة عليهم من حق قديم ،
أوجبه عليه ما فعلوه مع المسلمين ، المهاجرين ؛ من أصحاب رسول الله
ﷺ حينما هاجروا إلى الحبشة ، هرباً من أذى كفار مكة . فأجارهم
النجاشي ، وأحسن مشواهم

وقالوا : ان ما فعلته الحبشة مع المهاجرين يعدّ مكرمة خالدة لا يجب
أن تنسى

ونحن وان كنا بمن يحفظون الجميل ، ويخضعون للحق ، الا أننا
أحبنا أن نبيّن للمسلمين ، ارتباط الحبشة بالاسلام - قديماً وحديثاً - على الوجه
الصحيح . ليعرفوا ما لهم ، وما عليهم نحوها ، حتى يكونوا على بيّنة من الأمر ،
وليدركوا بان عطفهم على الحبشة لم يكن زرداً لجميل سابق لها على الاسلام ،
بل لأنها دولة شرقية ، تحاربها دولة غربية

وان شئت فقل : لأن الانسان جبل بطبعه على الانتصار للضعيف .
ويصح أن يكون هذا هو السبب الأقوى — لأنه يشترك معناني العطف
عليها كثير من الناس ، على اختلاف أديانهم ، وتباين أوطانهم .

وحسبك ما فعلته « جمعية عصبة الأمم » من العطف الجدّي على
الحبشة — وان كان بعضه مشابهاً بشيء من المصلحة الخاصة —

أما إيواء الصحابة المهاجرين ، وإكرامهم ، فالفضل فيه ، يرجع إلى

شخص واحد من الحبشة فقط . وهو « النجاشي أصحمة » (١) فقد كان رجلا عالما بالتوراة والإنجيل ، مصدقا بالبشارة براكب الجمل . فلما جاءه المهاجرون ، أكرم مشواهم ، وحماهم من الشعب الحبشي وبطارقته .

ثم أسلم على يدى جعفر بن أبي طالب ابن عم النبي محمد ﷺ وحسن اسلامه . ولم يعتنق الاسلام من الحبشة يومئذ سواه . وقد ستر اسلامه عن قومه حتى مات . وهذا مادعى مؤرخى الأفرنج إلى عدم اقتناعهم بأنه أسلم . وقد نعى للنبي ﷺ فضلى عليه صلاة الغائب . ولم يصل عليه أحد في الحبشة ، لأن موته كان بعد عودة المهاجر بن كلهم إلى المدينة .

(١) قال صادق باشا العظم فى رحلته إلى الحبشة سنة ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م) فى صفحة ١٨٦ : سألت أتو هيللا مريم ترجمان رأس ما كونن عن النجاشى فقال اسمه بالاحرى « اجها » وأنه كان حاكما فى جوار « تبجفى دنسا » كما ان أخاه ابرهة كان يحكم فى « أقسوم » اهـ

نقول : ان ابرهة المذكور هنا ، هو غير « ابرهة الأشرم » صاحب واقعة الفيل ، الآتى ذكرها .

وقال فى صفحة ١٩٣ : وسألت الحاج محمد من عشيرة بنى عقيل ، ومن علماء « دتو » عن النجاشى المذكور ، فقال : ان اسمه « اصحمة » أى « عطية » وهو مدفون فى محل يسمى « متكل العلامة » من أعمال مقاطعة « تيغرى »

وكان سيدنا جعفر بن أبى طالب لقيه فى المحل المذكور ، وهو قريب من عقامه (اغامى) وینعقد فيه كل سنة سوق كبير ، يأتى إليه ألوف من المسلمين والمسيحيين لزيارة قبر النجاشى . اهـ ملخصا

وفى الجواهر الحسان : ان قبره ببلدة « احمدنجاشى » بقرب حوزين باقليم تغرى

أما البطارقة - من قسيسين ورهبان - فقد لحق المهاجرين منهم ، من الأذى ، والتخويف ، ما لحقهم ، كما هو ثابت في كتب الحديث والسير ، مما كان بعضه سبباً في ارتداد أحد المهاجرين عن الاسلام ، وهو « عبيد الله بن جحش » وقد اعتنق النصرانية ، لينجو بها من الاضطهاد .

وقد همت البطارقة باحداث ثورة على النجاشي لعطفه على المهاجرين كما ستراء مفصلاً فيما بعد .

ثم لا يخفى على المؤرخ المدقق ان عداوة الشعب الحبشى للعرب قديمة العهد ، نشأت من وقت ان كان عرب اليمن يخطفون الأحباش من سواحل الحبشة ، ويبيعونهم أرقاءً في جزيرة العرب ، وغيرها

وزادت هذه العداوة ، بعد عام الفيل ، وما جرّه من الويل على جنود الحبشة ، واستعانة العرب بعد ذلك بالفرس ، على طرد الحبشة من اليمن ، بعد أن استعمروها نحو ٧٠ سنة .

فلما دخل العرب المسلمون بعد ذلك إلى الحبشة يدعونهم إلى الاسلام ، وجدوا منهم أعداءً الداء .

ثم دار بينهم النضال من القرن الأول الهجرى ، إلى يومنا هذا بما سنوضحه جلياً في هذا الكتاب بمعونة الله تعالى ، وحسن توفيقه .

علاقة الحبشة بالعرب

ترجع علاقة الحبشة بالعرب إلى عصر عريق في القدم ، يتبدى من وقت أن عرف العرب حاجتهم إلى الرقيق ، ليرعى إبلهم ، ويحلب نياقمهم ؛ ويقوم بخدمتهم

وقد كانت سفن اليمن تسطو على سواحل الحبشة ، تتخطف نساءهم ، وأبناءهم ، وتبيعهم عبيدًا في أنحاء جزيرة العرب ، وغيرها .

ودلنا على ذلك قدم عهد العبيد ، والإمام الأحباش ، في بلاد العرب ، يتخذون من الرجال رعاة ؛ ومن الإمام خدماً للبيوت

وكانوا إذا استولدوا أمة ، أبقوا أولادها على الرق ، إلا من ظهرت نجابته ، وشجاعته منهم ، فانهم كانوا يلحقونه بأنسابهم ، كخُفاف بن نُدبة ، أبوه « عمير السلمي » وعنترة بن زبيبة ، أبوه « شداد العبسي » وغيرهما ، ممن اشتهروا بالفروسية في القرن الأول قبل الهجرة (١)

فاذا عرفت ذلك ؛ أدركت كيف نشأت عداوة الحبشة من القدم ، لقوم يسطون عليهم ، بين آونة وأخرى ؛ يخطفون أبناءهم ونساءهم ؛ ثم يبيعونهم سلعا ؛ ويسترقونهم .

احتلال الحبشة لليمن

ذكر مؤرخو العرب خبر احتلال الحبشة لليمن ، بروايات ، مطولة ، خلاصتها : أن أحد ملوك اليمن واسمه « ذو نواس » كان يهوديا ، وكان يحمل الناس على اعتناق اليهودية .

(١) ومن فكيه أدعية العرب الجاهلية في حجهم « اللهم وفق بين نساتنا ، وافرّق بين رعائنا » يرون أنه إذا وقع الشقاق بين عبيدهم ، تسابقوا الى المراعى الخصبة . وإذا اتفقوا اجتمعوا على الغناء والرقص ، فلا تشبع لابلهم .

وكان أهل نجران نصارى ، وفيهم قليل من اليهود . فجاء إلى ذى نواس
يهودى يتظلم من نصارى نجران ؛ ويزعم أنهم قتلوا ابناً له

فغضب ذو نواس ، وغزاهم ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وحمل من بقى
منهم على الدخول فى اليهودية ، فأبوا

فصنع لهم أخدوداً فى الأرض ، وملاًه ناراً ، ثم عرضهم عليه . فمن
دخل فى اليهودية خلى سبيله ، ومن أبى ألقاه فى الأخدود . وهو الذى ذكره
الله تعالى فى كتابه الكريم بقوله : « قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ
الْوَقُودِ- » (١) فأفلت منهم رجل ، يدعى « ذو ثعلبان » حتى أتى « قيصر »
ملك الروم ، يستنصره على ذى نواس ، فأرسله الى ملك الحبشة ، وكتب
اليه يأمره بنصرته .

فأرسل ملك الحبشة معه جيشاً بقيادة رجل اسمه « ارياط » فدخل
اليمن ، واحتلها باسم « النجاشى » ملك الحبشة ، بعد أن قتل ، وسبى ، وخرب
البلاد . فولاه « النجاشى » ماضمه اليه من أرض اليمن

وكان فى عسكره رجل داهية ، يسمى « ابرهة الأشرم » نازعه الملك ،
ثم اقتتلا . فقتله ابرهة ، واستقل بالامر . فأقره « النجاشى » على ملك اليمن .
وهكذا استنجدت العرب بالحبشة ، على رفع ظلم ، نالها من عاهلها ،
فاحتلت بلادها ، فكانت كما قال الشاعر :

« المستجير بعمره عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار »

(١) سورة البروج — والأخدود الحفرة المستطيلة فى الأرض

لأن أبرهة حينما تم له الأمر ، بنى فى « صنعاء » كنيسة ، سماها القُلَيْسِ ، وكتب الى « النجاشى » : « انى قد بنيت لك كنيسة لم ير مثلها . وسأصرف اليها حاج العرب »

وكانت العرب فى جاهليتها تحج الى البيت العتيق ، بمكة . وشاع بينهم ما عزم عليه « ابرهة » فجاء رجل من « بنى فقيم » فدخل القليس ، وأحدث فيه نكاية فى « ابرهة »

فبلغ أبرهة ذلك ، فأقسم ليهد من البيت الذى تحج اليه العرب ثم جهز جيشا من الحبشة ، وسار فى مقدمته راكباً الفيل ، حتى بلغ « الطائف » فارسلت معه « ثقيف » دليلاً اسمه « أبورغال » يده على « مكة » ، فسار حتى إذا بلغ — مكاناً يقرب مكة — يدعى « المغمس » — هلك أبورغال . والعرب ترجم قبره فيه إلى الآن

أما أبرهة : فأقام فى « المغمس » ، وأرسل نفرأ من جيشه ، فاستاقوا ابل مكة ، وفيهم مائتا بعير لعبد المطلب سيد قريش

ثم ان أبرهة استقدم عبد المطلب اليه ، وهو جد النبي محمد ﷺ وكان رجلاً عظيماً وسيماً . فأجله ابرهة ، وأخبره أنه جاء ليهدم البيت ، وأنه لا يريد حرباً

ثم سأل عبد المطلب عن حاجته ، فقال : « حاجتى ان ترد إلى ابي »

قال أبرهة : « أتطلب ابلك وتترك بيتا لدينك ، ودين آبائك ؟ »

فقال : « أنا ربُّ الابل ، وللبيت ربٌ يمنعهُ »

فرداً عليه ابله . وذهب عبد المطلب الى مكة ، وأمر قريشا أن تعتصم
بشعاب الجبال

ثم أمسك بحلقة باب الكعبة . يسأل الله قهر الحبشة ، وخذلانهم ، وهو
يقول :

لاهمَّ ان المرء يمـنع رحله فامنع رحالك
الى أن قال :

جرُّوا جموع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فأمرنا ما بدالك «

ثم لحق بقومه الى شعب الجبال ، ينظر ما يفعل أبرهة .
أما أبرهة : فلما أصبح تهباً لدخول مكة بجيشه ، ليهدم البيت ، وركب
فيله ، ووجهه الى مكة ، فبرك ، ولم يقم ، فضربوه ، وآذوه ، فلم يقم . فوجهه
الى ناحية أخرى . فقام . فأداروه نحو مكة ، فبرك .

في هذه الساعة الرهيبة ، أرسل الله على أبرهة وجيشه جيشاً من جنوده
« وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ * وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ » (١)

وهذا الجيش طيور صغيرة جاءت تحمل حجارة دقيقة في أرجلها ومناقيرها .
وألقته على أبرهة ، وجيشه ، فكانت لا تصيب أحداً إلا أهلكته
فارتدَّ أبرهة ، ومن معه ، يتساقطون هلكي

وفي قصتهم نزلت « سورة الفيل » وهي قوله تعالى :

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ
وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ
كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ »

فلما هلك أبرهة ، ومن معه ، من الحبشة ، قام بملك اليمن بعده ابنه
« يكسوم » وكان جباراً ، فأذل العرب ، وأذاقهم أمرًا أنواع الظلم ، في اليمن
انتقاماً لأبيه وقومه .

فذهب سيف بن ذى يزن الى « كسرى » واستنصره على الحبشة ، وحسن
له ضم اليمن الى ملكه ، لما فيها من خير . فأرسل معه جيشاً قويا تمكن من
سحق من في اليمن من الحبشة ، واحتلتها . وسبى ما بقى من نساءهم ، وأولادهم
فازداد بهذا حقد الحبشة على العرب ، لأنهم كانوا سبب اجلائهم عن
اليمن ، بعد أن احتلوها نحو ٧٠ سنة مع ابادة رجالهم ، واسترقاق
نساءهم ، وذراريهم .

هجرة الصحابة الى الحبشة

وما لا قوه فيها من كرم « النجاشي » ، وأذى البطارقة

ان ماجبل عليه أصحاب الرسول ﷺ من مكارم الاخلاق ، وحفظ
الجميل ، واحتمال الأذى ، في بدء الاسلام ، جعلهم يذكرون ما نالهم من
« النجاشي » من كرم ، وحسن جوار ، ويكتمون ما لحقهم من بطارقة الحبشة
من الأذى ، والتهديد ، والتخويف

ولهذا لم ينشر المسلمون عن ذلك شيئاً ، ولم يخوضوا فيه .
ولكن الحقيقة لا تخفى على الباحث المدقق

وسترى بعد أن نسرّد حديث الهجرة إلى الحبشة مخلصاً من كتب السير
والحديث ، أن إقامة الصحابة الطاهرين ، رضوان الله عليهم ، في الحبشة ،
في هجرتهم ، كانت محفوفة بالمكاره
ولولا «النجاشي أصحمة» وقوة سلطانه ، لا كرهوا على الدخول في النصرانية
أو القتل ، أو أعيدوا إلى «مكة» لكفار قريش ، يفعلون بهم ما يشاءون .

الهجرة الأولى

لما رأى النبي ﷺ ما لحق أصحابه الذين أسلموا من قومه ، وأقاربه
من الأذى ، والتعذيب . أشار عليهم بالهجرة من مكة إلى الحبشة ، وقال لهم :
ان بها ملكاً لا يظلم عنده أحد . وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لهم
فرجاً مما هم فيه (١)

فخرج من المسلمين احد عشر رجلاً واربع نساء ، وعبروا البحر الأحمر
الى الحبشة ، واستجاروا بالنجاشي ، فاجارهم . وعلم منهم ببعثة النبي ﷺ
فأكرم مشواهم . وذلك في السنة الخامسة من النبوة

أما البطارقة (٢) من قومه ، فكانوا شديدي التعصب لدينهم . فعزّ عليهم

(١) تاريخ الطبري ص ٢٢٢ ج ٢

(٢) تقول العرب للقسيسين والرهبان بطارقة

أن تقام في مدينتهم المسيحية شعائر دين آخر . (١) فاخذوا يهددون المهاجرين ويحرضونهم على التنصر . فنبت الله المسلمين على ايمانهم ، الا واحداً ، وهو « عبيد الله بن جحش » فإنه لضعف اسلأهه ، ارتد ، تحت عوامل الضغط ، ودخل في دين النصرانية . فلما تنصر كلفه البطارقة بأن يحرض المسلمين على التنصر . فكان إذا مر بالمسلمين من أصحاب الرسول ﷺ يقول : « فتحننا وصأضأتم » أي أبصرنا وأتم تلمسون البصر (٢)

فحال النجاشي هذا الأمر ، وأحاط المهاجرين بسور من عنايته ، ومنع البطارقة من التعرض لهم .

فثار البطارقة عليه ، وكادوا يخلمونه ، ولولا أن الله نصره عليهم لأفسدوا عليه أمره (٣)

وخشى المسلمون عاقبة هذه الثورة . وأشيع أن قريشا أجابت دعوة النبي ﷺ وأسلمت . فاحب المهاجرون اغتنام فرصة السلامة . فعاد أكثرهم الى

(١) لأن المهاجرين رضى الله عنهم كانوا يقيمون الصلاة في أوقاتها علانية في محلهم الذي أقامهم فيه النجاشي

(٢) كتاب ألف باء ص ٣٦٧ ج ٢

(٣) ذكر هذه الثورة ابن الأثير في الجزء الثاني صفحة ٣٨ قال : وأقام المسلمون بخيردار . وظهر ملك من الحبشة فنزع النجاشي في ملكه ، فعظم ذلك على المسلمين ، وسار النجاشي اليه ليقاتله ، وأرسل المسلمون واحداً منهم ليأتيهم بخبره ، وهم يدعون له . فاقتلوا . فظفر النجاشي . فمأسر المسلمون بشيء سرورهم بظفره . اهـ .

وأشار إليها أيضاً الاستاذ « هيكل » في كتابه « حياة محمد »

« مكة » وكان مكثهم في الحبشة في هذه الهجرة نحو ثلاثة أشهر . فلما قدموا إلى « مكة » وجدوا عنق قريش يزداد ، كما ازداد عدد المسلمين أيضا . فعادوا إلى الحبشة ثانية كما سيأتي

الهجرة الثانية

ولما كانت قريش لا تكف عن أذى المسلمين ، اجتمع عدد كبير ممن أسلموا يبلغ ٨٠ رجلا ، عدا النساء والأطفال ، وقصدوا الحبشة ثانية . فرحب بهم النجاشي ، وأسكنهم مجتمعين ، ليقيموا شعائر دينهم ، وأسلم هو على يد جعفر بن أبي طالب ، لأنه كان مع المهاجرين في هذه المرة . هنا لك خشى كفار قريش أن يكون هذا العدد من المهاجرين قوة للتبشير بالاسلام في الحبشة ، وأنهم اذا تم لهم ذلك عادوا بجيش من الحبشة كبير لحربهم ونصرة رسول الله ﷺ لأن غزوة الحبشة لليمن ، ولمكة ، لا تزال عالقة بأذهانهم . فضلاً عن أن جيش الحبشة اذا جاء هذه المرة يكون لنصرة دين الله ؛ فلا يصدّه الله عن « مكة » كما صد جيش ابرهة الذي كان يقصد هدم بيته ، وأهلكه .

وفي رواية أخرى أن قريشاً أرادت ارجاعهم الى مكة ليقتلوهم بقتلى واقعة بدر .

لجمعت قريش هدايا نفيسة . لتقدم إلى النجاشي ، وهدايا أخرى لتقدم الى البطارقة ، وأرسلوها مع عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة ، وأفهموهما أن يتفقا مع البطارقة على أن يساعدهما في ردّ المهاجرين إلى قومهم .

فلما قدما الى الحبشة ، قدّما الهدايا الى البطارقة ، وأخبراهم بما وفدا من أجله . وطلبا اليهم أن يحولوا بين المهاجرين ، وبين النجاشي ، حتى لا يسمع كلامهم - لكلا يتأثر بفصاحتهم ، وحُسن ما يسمع من كلامهم ثم قدما اليهم الهدايا التي للنجاشي ، فأوصلها البطارقة اليه .

فاستدعى عمرا وعبد الله ، وشكرهما ، وسألها عن حاجتهما ، فقال عمرو : « أيها الملك : انه قد ضوى الى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، و جاؤا بدين ابتدعوه ، لانعرفه نحن ولا أنت . وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم ، من آبائهم ، وأعمامهم ، وعشائهم ؛ لتردّهم اليهم . فهم أعلا بهم عينا ، واعلم بما عابوا عليهم ، وعاتبوهم فيه » فلما سكت ، تكلم البطارقة ، وحاولوا اقناع النجاشي بوجوب ردّهم الى قومهم ، وابعادهم عن بلاده . ووجدوا بقدم عمرو ، وعبدالله ، فرصة ثمينة تريحهم من هؤلاء الضيوف ، الذين يدينون بغير دينهم .

ولما كان النجاشي كما علمت قد أسلم ، وكنتم اسلامه عن أصحابه ، وكان في قدرته أن يرد وفد قريش ، بدون أن يسمع حجة المهاجرين . واكفنه أراد أن يُسمع أصحابه دعوة الاسلام ، رغبة منه في أن تلين قلوب بعضهم اليه لذلك أبي أن يبتّ في الأمر قبل أن يسمع كلام المهاجرين وهم الخصم الثاني (١)

ولذلك طلب المهاجرين - فلما حضروا مجلسه ، قال لهم :

(١) قد اتبعت هذه السنة في جميع ممالك العالم المتمددين حتى الآن . فلاتسلم دولة هاربا لجأ اليها قبل أن تسمع أقواله وأقوال من يطلب تسليمه

« ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا به في ديني ، ولا في دين أحد من الملل » ؟ (١)

فتكلم جعفر بن أبي طالب : يصف له فضائل الاسلام ، وكان خطيب القوم ، وأشدّهم جرأة ، وقال :

« أيها الملك : كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القويّ منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله الينا رسولا منا ، نعرف نسبه ، وصدقه ، وأمانته ، وعفافه . فدعانا إلى الله ، لنوحده ، ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد ، نحن وآباؤنا من دونه ، من الحجارة ، والأوثان . وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم ، والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله ، ولا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، — وعدد عليه أمور الاسلام —

ثم قال : فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه ، على ما جاء به من عند الله ، فعبدنا الله وحده ، لا نشرك به شيئا ، وحرّمنا ما حرّم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان نعبده الله ، وإن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث .

فلما قهرونا وظلمونا ، وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا . خرجنا

الى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورجبنا في جوارك ، ورجونا أن
لا نظلم عندك » (١)

فصدقهم « النجاشي » وأمّنتهم . وأبى أن يسلمهم إلى عمرو ، ورفيقه
فاختلى عمرو بالبطارقة ، وقال لهم : سأغدو على « النجاشي » بما يدعو إلى
إبعادهم ، عن بلادكم ، فانهم يقولون في « عيسى بن مريم » غير ما تقولون ،
فكونوا معي وشدوا ازرى . فوعدوه خيرا .

ثم غدا إلى « النجاشي » وقال له : إن هؤلاء يقولون في المسيح
غير ما عندكم فيه

فأحضر المهاجرين ، وقال لجعفر : هل معك ما جاء به نبيك عن الله من
شيء فتقرأه عليّ ؟ فقال : نعم . وتلا من أول سورة مريم الى قوله تعالى
« وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا »

فلما سمع البطارقة هذا القول ، وعلوا أنه جاء مصدقاً لما في الانجيل ، أخذوا
فقال « النجاشي » : ان هذا ، والذي جاء به عيسى ، ليخرج من مشكاة واحدة .
ثم أخذ عوداً من الأرض ، وقال لجعفر : ما عدا عيسى ما قلت ، هذا العود .
فنخرت بطارقه . فقال : وان نخرتم (٢)

(١) ابن الأثير ج ٢ ص ٣٧

(٢) النخر صوت من الأنف أضعف من الشخير ، يراد به الاستهزاء بالرأى
ويفهم من هذا ، أن البطارقة لم يعجبهم قول النجاشي الذي كان في مصلحة المسلمين ،
فسخروا من رأيه ، فقال : وان نخرتم (أى على رغم أنوفكم)

وقال لعمر وورفيقه : انطلقا . والله لأأسلمهم اليكما ، ورد^١ عليهما الهدايا
وقال للمهاجرين : اذهبوا ، فأنتم آمنون (١)

فأقام المسلمون في جواره ، رغم ارادة البطارقة ، حتى بعث النبي ﷺ في طلبهم ، فعادوا إلى المدينة ، فتكون مدة إقامتهم بأرض الحبشة نحو ١٦ سنة وذلك في سنة ٥٨ هـ (٦٢٩ م)

كيف كانت البطارقة تؤذى المهاجرين

روى البخارى فى صحيحه ، عن عائشة ، رضى الله عنها : أن أم حبيبة وأم سلمة ، ذكرتا كنيسة رأيتها بالحبشة ، فيها تصاوير ، فذكرتا ذلك للنبي ﷺ فقال : « ان أولئك ، إذا كان فيهم الرجل الصالح ، فمات ، بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك أشرار الخلق عند الله يوم القيامة »

فنعلم من هذا أن البطارقة كانوا يحرضون المسلمين والمسلمات ، على دخول كنائسهم ، ليحملوهم على اعتناق النصرانية ، وكانت نتيجة ذلك : ارتداد (عبيدالله بن جحش) - وهل يوجد أذى أكبر من هذا الأذى ، للمسلمين أليس هو من نوع الأذى ، الذى هاجروا من مكة بسببه . ؟

وأكبر من هذا ما صرحت به السيدة ، الجليلة ، « أسماء بنت عميس » رضى الله عنها ، وكانت فى الحبشة مع زوجها « جعفر بن أبى طالب » رضى الله عنه . فقد أبانت

(١) ابن الأثير ص ٣٧ ج ٢ ملخصاً

ما كان يلحق المهاجرين ، من الأذى ، والتخويف ، في الحبشة ، وقد أثبتته صاحب « التاج » من حديث أبي موسى ، رضى الله عنه ، نقلًا عن « البخارى » و « مسلم » قال :

أن أسماء بنت عميس ، حين جاءت من الحبشة ، دخلت على السيدة « حفصة » أم المؤمنين ، بنت عمر بن الخطاب ، رضى الله عنهم ، تزورها ، فدخل عمر ، فقال : من هذه ؟ قالت : أسماء بنت عميس . قال عمر : الحبشية هذه ، البحرية هذه ، (أى التى ركبت البحر وهاجرت الى الحبشة) قالت أسماء : نعم . فقال عمر : سبقناكم بالهجرة (أى بالهجرة الى المدينة مع رسول الله) فنحن أحق برسول الله منكم .

فغضبت . وقالت : كذبت ، يا عمر . كلاً ، والله ، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ، ويعط جاهلكم ؛ وكنا فى أرض البعداء البغضاء (أى البعداء فى النسب البغضاء فى الدين) فى الحبشة ، وذلك فى الله ، ورسوله ، وإيم الله ، لا أطعم طعاما ، ولا أشرب شرابا ، حتى أذكر ما قلت لرسول الله (ﷺ) ونحن كنا نؤذى ونخاف . وسأذكر ذلك لرسول الله ، واسأله والله : لا أكذب ، ولا أزيغ ، ولا أزيد على ذلك .

فلما جاء النبي ﷺ قلت : يا نبي الله ، ان عمر قال كذا وكذا . فقال رسول الله ﷺ ليس بأحق بي منكم ، وله ولاصحابه هجرة واحدة ، ولكم أتم أهل السفينة هجرتان (١) فانظر كيف قالت : كنا تؤذى ونخاف ، وأقسمت على صدقها ، وانظر

(١) مختصر من التاج ص ٢٨٨ ج ٢

كيف عد رسول الله ﷺ هجرتهم إلى الحبشة ، هجرة ، مستقلة ، لهم ثوابها ، وهجرتهم ، بعد ذلك إلى المدينة ، هجرة ثانية . وما ذاك إلا لما كان يلحقهم في الحبشة ، من أذى البطارقة ، وأصحابهم . هذا : وإذا تصورنا موقف أولئك المهاجرين ، الأخيار ، حين دعاهم « النجاشي » إلى مجلسه ، المرة ، بعد المرة ، وقدرأوا عمرا ، وعبد الله ، رسولي كفار قريش ، أتيا لأخذهم ، وسمعوا البطارقة ، يحرضون « النجاشي » على تسليمهم . لعدوهم . وأسمعنا دقات قلوب المهاجرات ، الطاهرات فرقا من أن يسمح « النجاشي » بردهن إلى قومهن يسومونهن سوء العذاب لهلعت قلوبنا جزعا من هول ذلك الموقف المرعب . فأى حق بعد ذلك للحبشة ، على المسلمين ، المهاجرين ، حتى نذكره لهم ؟ وهم لم يكرمواهم ، ولم يتعففوا عن أذاهم وإيم الحق لولا « النجاشي » المسلم ، ما استطاعوا أن يعيشوا في الحبشة يوماً واحداً

الاسلام في الحبشة من بعد الهجرة

انتهى بما تقدم كلامنا ، عن علاقة الحبشة ، بالعرب في الجاهلية ، وما حدث في هجرة بعض الصحابة رضی الله عنهم إلى الحبشة ، وعودتهم ، منها جميعا إلى المدينة ، بدون أن يتركوا للاسلام أى أثر فيها . ونحن ذاكرون بعون الله حال الاسلام في الحبشة ، من بعد الهجرة ، إلى هذه الأيام .

أول سرية اسلامية للحبشة

أراد أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » رضی الله عنه ، أن يعجم عود الحبشة لينشر فيها الدعوة الاسلامية ، فوجه إليها سرية من المسلمين في سنة ٢٠ هـ بقيادة « علقمة بن مجز المدلجى » فلم توفق إلى شيء ، وأصيبت . فجعل عمر ، على نفسه ، أن لا يحمل في البحر أحدا للغزو (١)

احتلال السواحل الحبشية اقتصاديا

تركت الحبشة ، وشأنها ، بعد سرية « علقمة » ولم يرسل اليها المسلمون حملات للفتح بقوة السيف ، ولكن أخذوا في احتلالها اقتصاديا ، فتدفق سيل التجار المسلمين ، على سواحل الحبشة ، واستوطنوها ، وجعلوا يحتلونها شيئا فشيئا ، فأخذوا جزيرة « دهلك » ثم « مصوعاً » و « الزيلع » (١) ودأبوا على ذلك ، حتى أصبحت جميع سواحل الحبشة في قبضة يدهم ، وأدخلوا في الاسلام كثيرا من القبائل الوثنية .

(١) ابن الاثير ص ٢٨٠ > ٢

(١) « مصوع » ثغر على شاطئ البحر الاحمر من سواحل « الاريتريا » و « دهلك » جزيرة بجوارها .

و « زيلع » ثغر في الصومال البريطاني ، على ساحل خليج عدن

مناعة بلاد الحبشة

كانت ملكة الحبشة قبل الاسلام ، وقاعدتها مدينة « أكسوم » على جانب عظيم ، من القوة ، والسطوة ، قوية الشكيمة . وحسبنا دليلاً على قوتها ، تمكنها من احتلال اليمن ، مدة ٧٠ سنة تقريباً .

وقد زاد في سطوتها مناعة أرضها ، وما وهبها الله سبحانه وتعالى ، من الحواجز الطبيعية ، التي تجعلها بعيدة المنال ، عن الفاتحين .

فان تلك الجنة الفيحاء ، التي تشمل الهضبة الحبشية ، محصنة ، بطبيعتها ، بجبال شاهقة ، وأودية سحيقة ، ومسالك وعرة ، وصحار قاحلة ، وأجواء مختلفة .

من أجل ذلك لم يحاول الخلفاء الراشدون ، ولا من جاء بعدهم ، من ملوك الاسلام ، فتحها عنوة ، في الوقت الذي اكتسحت فيه جنودهم ، بلاد الشام ، والعراق ، ومصر ، وجاوزت بلاد فارس . ولكن شاء الله أن ينشر فيها دينه عن طريق السلم .

انتشار الاسلام في الحبشة

إننا وإن كنا لا نستطيع أن نذكر بالتفصيل ، كيف كان احتلال المسلمين ، لسواحل الحبشة ، سلباً بغير حرب ، وجعلها إسلامية ، ونشرهم

فيها الدين الحنيف ، بين القبائل المتوحشة ، حتى مصروهم ، وأوجدوا منهم جنوداً ، أشداء ، كونوا بهم قوة مسلمة ، ذات شأن ، على جانب عظيم من مكارم الأخلاق ، والصفات ؛ إلا أننا نستطيع أن نبرهن على قيام دولة إسلامية ، عظيمة ، في الحبشة ، نشرت سلطانها يوماً مآ ، على جميع أرجائها ، زمنا غير قليل .

كيف وأين نشأت أول دولة إسلامية في الحبشة

كان من نزل الحبشة ، مع التجار ، الذين نزحوا إليها ، من اليمن ، والحجاز ، جماعة من قريش ، من ولد « عقيل بن أبي طالب » وسكنوا في ناحية ، تسمى « جبرت » (١) من أراضى « زيلع » وسموا بعد ذلك « الجبرية » ، ولا يزال هذا الاسم لشعب كبير ، من المسلمين ، في الحبشة كما سيأتى .

ولما وهب الله قريشا ، من الحزم ، والحكمة ، وعلو الهمة ، ولأنهم أهل الشرف ، والسيادة ، أينما حلوا - قام هؤلاء الأبطال بإنشاء أول دولة إسلامية ، في الحبشة ، وجعلوا قاعدتها « وفات » وهى « جبرت » ونظموها إدارتها ، وأحكموا أمرها ، فأطاعهم أهلها ، وأخذ سلطانهم يقوى ، ونفوذهم يمتد ، وملكهم يتسع . وكلما كونوا مملكة ، مهدوا السبيل ،

(١) « جبرت » وهى « وفات » أيضا ؛ من أكبر مدن الحبشة ؛ ومن زيلع

إليها ٢٠ مرحلة - راجع تقويم البلدان ص ١٦١ .

لتكوين غيرها . حتى إذا دخل القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) تم لهم فى الحبشة « سبع ممالك » زاهرة ، مزدهرة ، وسميت « الطراز الاسلامى » لأنها كانت كالطراز على سواحل الحبشة ، وهى :

١ مملكة وفات

٢ « دوارو

٣ « اراينى

٤ « هديا

٥ « شرحا

٦ « بالى

٧ « داره

وكانت هذه الممالك كلها ، ذات مساجد ، وجوامع ، تقام فيها الجمعة ، والجماعة . وكانت البلاد على جانب عظيم ، من الخير ، والرخاء ، وجميعها متجاورة ، ماعدا « داره » فان أرضها داخله فى نفس نواحي « احرا » التى كانت قاعدة مملكة الحبشة وقتئذ .

وقد ذكر العلامة « القلقشندى » فى كتابه « صبح الأعشى » هذه الممالك ، ووصف بعضها ، وتكلم عن عدد عساكرها ، من فارس ، وراجل ، ناقلاً عن « مسالك الأبصار » لمؤلفه « شهاب الدين العمري »

قال إعن « وفات » والعامه تسميها « أوفات » ويقال لها أيضاً « جبرّات » والنسبة إليها « جبرّتي » وهى أكبر مدن الحبشة ، على نشر من الأرض ،

وعمارتها متفرقة ، ودار الملك فيها على « تل » والقلعة على « تل » ولها واد فيه نهر صغير ، وتمطر في الليل غالباً مطراً كثيراً .

وهي عامرة أهلة بقرى متصلة ، وهي أقرب أخواتها إلى الديار المصرية ، وإلى السواحل المسامطة لليمن .

وهي أوسع الممالك السبع أرضاً ، وعسكرها ١٥ ألفاً من الفرسان ، ويتبعهم ٢٠ ألفاً من الرجاله (١) اه

أقول : وفات واقعة شرقي هضبة « شوى » وهي أول مملكة اسلامية قامت في الحبشة .

وقد ذكر العلامة « الشوكاني » في كتابه « البدر الطالع » ترجمة لسلطانها محمد بن أبي البركات بن أحمد بن علي بن محمد بن عمر الجبرتي ، ونعته بسلطان المسلمين بالحبشة ، وقال انه تولى ملكها سنة ٨٢٨ هـ (١٤٢٥ م) ومات في سنة ٨٣٥ هـ (١٤٣٢ م) في إحدى غزواته .

وقال : كان ديناً ، عاقلاً ، عادلاً ، خيئراً ، وقوراً ، مهيباً ، ذا سطوة على الحبشة ، أعز الله الاسلام في أيامه .

ثم قال : وملك بعده أخوه ، فاقتنى أثره ، في غزواته ، وشده .

وكان يصحب الفقهاء ، والعلماء ، والصلحاء ، وينشر العدل في أعماله ،

حتى في ولده ، وأهله . واسلم على يديه خلائق من الحبشة (٢) اه ملخصاً

وقال القلقشندي عن مملكة « دَوَارُو » انها تلي « وفات » وهي

(١) صبح الاعشى ٣٢٥ ج ٥

(٢) البدر الطالع ١٤٢ ج ٢

صغيرة ، وضيقة ، ومع ضيقها ، فانها ذات عسكر جم نظير عسكر أوفات (١) اه
أقول : وتسمى أيضا « ادال » وقد فاقت « وفات » قوة ، وعظمة ،
وموقعها شرقى « هرر » ولها قاعدة تسمى « دكر »

وقال القلقشندى عن « هديا » : هي جنوبى « وفات » وتلى « ارايينى »
وصاحبها أقوى اخوانه . من ملوك هذه الممالك السبعة ، وأكثر خيلا ،
ورجالا ، ، أشد بأساً ، على ضيق بلاده عن مقدار « اوفات » (٢) . اه
وقال عن مملكة « بالى » التى تقع فى جنوب « شوى » ويقطنها الآن قبائل
« غاللا أروسى » لأنها مدينة تلى « شرحا » واكلنها أكثر خصبا ، وأطيب
سكنا ، وأبرد هوا . منها جميعا .

وقال عن « دارا » لأنها مدينة تلى « بالى » وهى أضعف أخواتها حالا
وأقلها خيلا ، ورجالا ، وعسكرها لا يزيد عن ٢٠٠٠ فارس ، ورجاله
كذلك (٣) اه

أقول : ان سبب ضعفها عن اخواتها هو لتداخلها فى أراضى « احرا »
بين بلاد الحبشة .

وقال القلقشندى أيضا عن ذكر معاملات وأسعار الممالك الاسلامية

(١) صبح الأعشى ٣٢٦ ج ٥

(٢) صبح الأعشى ٣٢٨ ج ٥

(٣) صبح الأعشى ٣٢٩ ج ٥

بالحبشة ما يأتي ملخصا : وليس بأوفات سكة تضرب ، بل معاملاتهم بدنانير مصر ، ودرهمها ، الواصلة إليهم صحبة التجار (١) اه
فن هذه الجملة القليلة ، نعرف مقدار الصلة التجارية ، في تلك الأيام . بين مصر . والممالك الإسلامية بالحبشة .

الرخاء في الممالك المذكورة

وإذا أردت أن تعرف ما بلغت تلك الممالك من الرخاء . فانظر ما كتبه « القلقشندي » عن ذلك حيث قال ماملخصه :
« وأما الأسعار . فكلها رخيصة . ويبيع بالدرهم الواحد عندهم ، من الخنطة حمل بغل . والشعير لا قيمة له . وعلى هذا فقس (٢)

نظام التوارث في عروش هذه الممالك

قال القلقشندي : والملك منهم في بيوت محفوظة ، الا « بالي » اليوم فان الملك فيها صار إلى رجل ليس من أهل بيت الملك ، تقرب إلى سلطان « امحرا » حتى ولاء مملكة « بالي » فاستقل بملكها . على أنه قد وليها من أهل بيت الملك رجال أكفاء ، ولكن الأرض لله يورثها من يشاء .

قال في مسالك الأبصار : وجميع ملوك هذه الممالك ، وان توارثوها

لا يستقل منهم في ملك . الا من أقامه سلطان « احرا » وإذا مات منهم ملك . ومن أهله رجال ، قصدوا جميعهم سلطان « احرا » وتقرّبوا اليه جهد الطاقة ، فيختار منهم رجلا يوليه ، فاذا ولاه سمع البقية له ، وأطاعوا ، فهم كالنواب ، وأمرهم راجع اليه .

ولكن كلهم متفقون على تعظيم صاحب « أوفات » منقادون اليه (١)

غموض تاريخ الاسلام في الحبشة قبل القرن الثامن

يسوءنا مع الاسف أننا لم نوفق الى العثور ، على وثائق نعتمد عليها ، ونعرف منها ما كان يجرى بين الحبشة ، والمسلمين ، قبل القرن الثامن ، وما قاساه هؤلاء ، من المشاق ، في سبيل تكوين الممالك « السبع » التي انشأوها ، وما يدرينا ، لعل هناك كتب ، وآثار ، عن ذلك ، لم يسمح الدهر بظهورها ، من مكانها بعد .

ولكن المسلم به ، أن علاقة الحبشة بمصر ، لم تنقطع ، وتلك العلاقة دينية ، مسيحية ، محضة . لأن تولية الاساقفة ، للكنيسة الحبشية ، تصدر من غبطة بطريرك الكرازة المرقسية ، بمصر ، وذلك من وقت دخول الديانة المسيحية ، الى بلاد الحبشة ، في أوائل القرن الرابع لليلاد ، على يد الاسقف « فرومنتيوس » الذي عينه بطرك الاسكندرية ، اسقفا على الحبشة .

وقد عثرنا على وثيقة ، قليلة الكلمات . كبيرة المغزى ، رواها الطبري ،

(١) صبح الاعشى ٣٢٢ ج ٥

وغيره ، تدل على قسوة الحبشة . وسوء جوارهم ، للمسلمين . وهذا نصها : قال :
لما قتل مروان بن محمد (آخر الخلفاء الأمويين) ببلدة « بوصير » (من
أعمال جيزة مصر) في سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) هرب ولداه « عبد الله »
و « عبيد الله » الى أرض الحبشة ، فلقوا من الحبشة ، بلاء ، قاتلهم الحبشة ،
فقتلوا « عبد الله » و « عبيد الله » في عدة بمن معه . (١)

فانظر الى هذا الشعب الوحشى . كيف يقابل ضيوفا ، دخلوا أرضه ،
يتخذون في جواره حى ، وأمنأ ، من عدوهم ، فيقابلهم بالسيف ، يقتل بعضهم
ويشرد البعض الآخر .

وقد وصل الينا أيضا عن طريق « المقتطف » كتابة طريفة ، نقلا عن
كتاب « لباب الآداب » للأمير « اسامة بن منقذ » نقلها بحروفها - وان
كانت لا تتعلق بموضوع كتابنا - الا أنها تدل على شىء من جهروت ملوك
الحبشة . قال :

« وصل رسول ملك الحبشة ، وكتابه ، في سنة ٥٤٧ هـ (١١٥٢ م) الى
الملك العادل ، أبى الحسن ، بن على ، بن السلار ، فسأله ان يأمر البطرك بمصر ،
ان يعزل بطرك الحبشة (وتلك البلاد كلها مردودة الى نظر بطرك مصر)
فأمر الملك العادل ، باحضار البطرك ، فحضر ، وأنا عنده ، فقيل له :
ملك الحبشة قد شكنا من البطرك الذى يتولى بلاده ، وسألنى فى التقدم
اليك بعزله ،

(١) الطبرى ١٣٤ ج ٩ . أما ابن الاثير ، وابن الوردى فذكرا ان الحبشة قتلوا
« عبيد الله » ونجا « عبد الله بمن معه

فقال : يامولاي . ماوليتي حتى اختبرته ، ورأيتي يصلح للناموس الذي هو فيه ، وماظمري من أمره مايجب عزله ، ولايسعني في ديني أن أعمل فيه بغير الواجب ، ولايجوز أن اعزله .

فاغتاظ الملك العادل ؛ من قوله ، وأمر باعتقاله ، فاعتقل يومين ، ثم انفذ اليه ، وأنا حاضر ، يقول له : لايد من عزل هذا البطرك ، لاجل سؤال ملك الحبشة في ذلك ، فقال : يامولاي . ما عندي جواب غير ماقلت لك ، وحكمك ، وقدرتك ، انما هي على الجسم الضعيف ، الذي بين يديك . وأما ديني ، فمالك عليه من سبيل . ثم قال :

« والله ما أعزله ، ولو نالني كل مكروه . »

فاطلقه العادل ، واعتذر الى ملك الحبشة . اه مختصرا (١)

نقول : ان شهادة بطرك مصر . لبطرك الحبشة ، الذي عينه بنفسه ، بانه اختبره ، ووجده يصلح لما ولاه ، شهادة لا يمكن أن تشاب بشيء غير الحق . فياترى أى شيء ينقم ملك الحبشة منه ، الا أن يكون الملك جباراً ، يأتي المظالم ، المخالفة للتعليم المسيحي ، والبطرك ينهأ عنها . ويرشده الى اتباع العدل . فتوسل ملك الحبشة الى ملك مصر في الرجاء الى البطرك لعزله ، حتى يستريح من مضايقته ، اذلا سبيل له الى مسه بسوء .

وقد عثرت في كتاب « الاعتبار » للأmir « ابن منقذ » أيضا ، على وثيقة نفيسة ، يستدل منها على ان الحبشة كانت تشن الغارة على البلاد

المصرية المجاورة لها ، وتعرض لاهلها بالسوء ، وان الملك الصالح « طلائع » أراد أن يعين « ابن منقذ » والياً على « اسوان » ويمده بالمال ، والرجال ، ليتقوى على حرب الحبشة ، وكان ذلك في سنة ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) وهذا نصها :

« .. ثم اتصلت بخدمة الملك العادل « نور الدين » وكتابت الملك الصالح في تسيير أهلى وأولادى ، الذين تخلفوا بمصر ، وكان محسنا اليهم ، فرد الرسول ، واعتذر بانه يخاف عليهم من الافرنج .

وكتب الى يقول : ترجع الى مصر ، وانت تعرف ما بينى وبينك ، وان كنت مستوحشا من أهل القصر ، فتصل الى مكة ، وانفذ لك كتابا بتسليم مدينة « اسوان » اليك ، وأمدك بما تتقوى به على محاربة الحبشة ، فاسوان ثغر من ثغور المسلمين ، وأسير اليك أهلك ، وأولادك . (١)

ماذا كانت تضر الحبشة للمسلمين

كانت ملوك الحبشة ، تنظر إلى هذه الدويلات ، المسالمة ، بعين الحسد ، والحققد ، لارتقائها مديناً ، واقتصادياً ، فضلاً عما كانت تكنه من العداوة للمسلمين ، من قديم .

لذلك : لم يحل لها ما باغته البلاد التي احتلها المسلمون ، وأصلحوها ، من الرفاهية . كأنهم خافوا عاقبة رقيها ، فأخذوا يتحسبون الفرص للفتك

(١) ص ٢٥ الاعتبار طبع ليدن في سنة ١٨٨٤ م

بالمسلمين ، وإبادتهم ، و احتلال ممالكهم ، وظهر ذلك جلياً بما كتبه المؤرخون في القرن الثامن الهجرى كما سنينه .

الاسلام والحبشة في القرن الثامن

لما دخل القرن الثامن الهجرى بدأ المؤرخون في تدوين أخبار الحبشة ، وقد وضع المقرئى كتابه « الالمام ^(١) » و ذكر فيه « النجاشى اسحق ابن داود » الذى تولى على الحبشة سنة ٨١٢ هـ (١٤٠٩ م) فقال :

وهذا الملك قوى أمره بوفود قوم من الجراكسة إلى بلاده ، أنشأوا فيها مصنعاً للسلاح . كالسيوف ، والرماح ، والخناجر ، بعد أن كانت « الحراب والنشاب » عماد سلاحهم

وكذلك انتظمت مالية دولته ، بوجود رجل قبلى ، من مصر ، و لاه أمر أموال المملكة ، فأحسن ضبطها ، وانماها ، فعمها اليسر والرخاء .

فعند ذلك طغى « النجاشى » وبغى ، واتفق مع رجال دولته على انتزاع ممالك المسلمين ، من أيديهم ، واجلائهم ، عن البلاد ، وإبادتهم .

قال المقرئى : فلما تحضرت دولته ، وقويت شوكته . سولت له شياطينه ، أن يأخذ ممالك الاسلام ، فوقع بمن تحت يده فى مملكة الحبشة من المسلمين ، وقائع شنيعة ، طويلة ، قتل فيها ، وسبى ، واسترق عالماً لا يحصيه إلا خالقه سبحانه .

(١) الالمام عما بأرض الحبشة من ملوك الاسلام طبع مصر سنة ١٩٠٨ م ص ٥
وقد ألفه سنة ٨٣٩ هـ (١٤١٥ م)

ثم كتب الى ملوك الافرنج يحثهم على ملاقاته ، لازالة دولة الاسلام ،
وواعدهم على ذلك ، وأخذ في تمهيد (١) ما بينه وبين البلاد الاسلامية ،
واستجلاب العربان اليه . فعاجله الله تعالى بنقمته سنة ٨٣٣ هـ (١٤٢٩ -
١٤٣٠ م) هـ

فهذه شهادة مؤرخ معاصر للحوادث ، التي كانت تجرى بين ملوك الحبشة
والمسلمين . تظهر للقارى . ما جبلت عليه ملوك الحبشة وشعوبها ، من العداوة
للمسلمين . فانهم لم يرعوا حق جوارهم . بعد أن قضوا على الوثنية في بلادهم ،
ومصروها ، وأقاموا فيها شعائر الاسلام الحنيف .
لهذا لم يجد المسلمون بعد ذلك بدءاً من اعداد العدة لمقاومة أعدائهم .

ولاشك في أن نهوض الاسلام في تلك البلاد كان كوسيلة لازمة لدفاع
المسلمين ، عن أنفسهم ، وحريتهم ، تلقاء طغيان الاحباش الذين يختلفون
عنهم ديناً وجنساً .

حدود الحبشة وقتئذ

حصرت المملكة الحبشية ذلك الوقت ، في الهضبة المرتفعة ، ما بين
« شوى » و « أمحره » و « تيجرى » وكان الشعب يعاني التعب ، والشقاء ،
من الحكام ، وسوء ادارتهم

وكان نفوذ دولة الماليك يمتد الى شمالى الحبشة ، فقام رجل اسمه

(١) لعله يريد تعبيد الطرق واصلاحها

« يكونه أملاك » وأسس دولة حبشية وهي « الاسرة السليمانية » وأخذ يشن الغارات على المسلمين ، في الجنوب ، والجنوب الشرقي

فنهض المسلمون لدفع تعدى الاحباش ، وحمى وطيس الحرب بينهم ، ودامت هذه الحروب الفظيعة نحو ثلاثة قرون ، وبلغت أشدها في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) حين تولى النجاشي « لبنادنقل » Denghel وولده « كلاوديوس Calâwdewos » من بعده

وقد عانى المسلمون في أيامها شدة عظيمة ، وضعفت دولتهم ، التي جعلوا عاصمتها « هرر » سنة ٩٢٦ هـ (١٥٢٠ م) وكادت تنهار ، ويقضى عليها ، لولا أن قام من المسلمين شاب ، مقدام ، جسور ، اسمه « احمد بن ابراهيم » وجمع كلمة المسلمين ، وتولى أمرهم ، حتى لقبوه « الامام » و « الغازي » و « صاحب الفتح » لفتح الحبشة ، والاستيلاء عليها .

وسماه الاحباش « جرائي . Gragn » أي اعسر ، فقد حمل على الحبشة ، حملات شديدة ، بمؤازرة الاتراك الذين كانت « جدة ، واليمن » في قبضتهم . وتوغل في البلاد حتى انتهى ، الى الاقاليم الشمالية ، من « تيغري » وبلغت حروبه مع الحبشة اقصى حد من الحماسة ، والاقدام ، لان المسلمين ، اعتبروها جهاداً . وغدوا يحاربون حرب المستميت ، باسم الدين ، حتى نفذت قواهم المادية ، والمعنوية

وقد وصفت هذه الوقائع التي تشيب لهولها الاطفال ، في كتاب العلامة الشهاب « احمد بن عبد القادر الجيزاني » المدعو « عرب فقيه » والذي سماه « فتوح الحبشة »

ومن يطالع هذا الكتاب ، يجد فيه ، من ذكر أعمال « الفروسية » و « البطولة » و « هول الوقائع » التي قام بها المسلمون ، ما ليس له نظير ، في الاخبار ، المتداولة ، عن الفتوحات الاسلامية الاولى . وانظر مقاله المؤلف في وصف واقعة « صمبر كورى » في بلادشوى .

واقعة صمبر كورى

هذه الواقعة حدثت في مستهل رجب من عام ٩٣٥ هـ ، وهي احدى سلسلة وقائع ، استجر فيها القتل في المسلمين ، وكادت الحبشان تقضى عليهم ، حتى ان كثيرا من الجبهة ، الضعيفى الايمان ، من المسلمين ، ارتدوا الى الكفر ، طلبا للنجاة ، من القتل ، والاضطهاد

واقعة بادقى

وقد سبق واقعة « صمبر كورى » واقعة « بادقى » كادت تذهب بجيش المسلمين ، لولا ان تداركهم الله بنصر من عنده ، وكان المسلمون زاحفين اليها بقيادة الامام « احمد » فاخلى امامهم الجيش الحبشى الطريق ، وكانوا كلما سألوا واحدا من الاهالى عن الجيش انكر وجود أى قوة هناك . وكانت « بادقى » هذه موضع بيوت الملك ، وخزائنه . فسار المسلمون اليها من غير ترتيب ، ولا تعبئة ، فلما اقتربوا منها ، صدمتهم عساكر الكفرة الذين اقبلوا ، كالجراد المنتشر ، وصدوا المسلمين عن دخول القرية . وكان

بين العسكرين نهر يسمى « سمرما » فبقى المسلمون في أماكنهم إلى الصباح ثم عبر النهر منهم طائفة ، والتقت بالحيشة ، واشتبكوا في معركة ، فوقع الرعب في قلب رجلين من المسلمين ، فانهزما ، وانهزمت بانهما جميع الفرقة ، وعبرت النهر على غير هدى ، فغرق منها جماعة

عند ذلك وقف الامام في وجه الهاربين ، وصاح قائلاً :

« أين تفرون ، اتفرون من الجنة ؟ وما هو الا أجل قد كتب »

فقال له احد أعوانه : « اضرب خيمتك هنا ، ونحن نقاتل دونك ، قتال

العرب » (١)

فضرب خيمته ، واجتمع المسلمون حوله ، وثبتوا في أماكنهم ، وقد خسروا بعض رجالهم .

ثم رأى الامام « احمد » ان هذه البقعة ضيقة ، ولا تصلح للقتال ، فرحل بعسكره متقهقرا ، وتبعتهم عساكر الحيشة ، حتى لحقوا بهم عند « صمبر كورى » .

فلما رأى المسلمون أن الكفار لاحقون بهم ، استشار الامام أصحاب الرأي في عسكره ، فقالوا : « أما نحن ، فالقتال بغيتنا ، ومنانا ، ولا نزال نصر لهم على الضرب ، والطعن ، والقتال ، حتى يحكم الله بيننا ، وهو خير الحاكمين »

ففرح بهم ، ودعا لهم . وباتوا يعدون العدة للصباح . فلما أصبحوا خطب

(١) يشير بذلك الى واقعة احد .

فيهم الفقيه « أبو بكر » المكنى « بارشونه » وبشرهم بالجنة ، وحذرهم من النار . وتلى عليهم قوله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا ، وصَابِرُوا ، وَرَاطِبُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ
تَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (١)

فعند ذلك عبأهم الامام « احمد » وصفهم ، ورتبهم . واصطفت الحبشة ، فكانوا سبعة صفوف . فهابهم المسلمون ، لكثرة عددهم . فاقبل الامام ، يثبتهم ، بدعائه ، ويقول : « اللهم اجعل كلاً منا صابراً ، ولدينك ناصرًا » ثم قال لعسكره : « اذكروا الله ، ولا تنظروا اليهم ، وانظروا إلى الأرض واستعينوا بالله عليهم ، واصبروا ، والله معكم ، وناصركم »

فلما اقترب الكفار منهم ، كانت سحابة من فوقهم ، تظلمهم ، والمسلمون في حر الشمس . فتضرع الامام ، ودعا ؛ وقال في دعائه :

« يا الله ، يا حي ، يا قيوم ، يا بديع السموات ، والأرض ، يا ذا الجلال ، والاکرام ، ان هؤلاء اعداء نبيك ، وأعداء رسلك ، يأكلون رزقك ، ويعبدون غيرك ، فتظلمهم ونحن المسلمون في حر الشمس »

فما استتم الامام كلامه ، حتى زالت تلك السحابة عن رؤس الكفرة ، إلى رؤس المسلمين ، والى تعبتهم ، فكانت تظلمهم .

ثم حمل الكفار . على المسلمين ، فاقتتلوا ، وحمى الوطيس بينهم الى وقت العصر

وخطب الفقيه « أبو بكر » فيهم ، وقرأ عليهم قوله تعالى :

(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ ، وَأَمْوَالَهُمْ ، بِأَنْ تَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَيَقْتُلُونَ ، وَيُقْتَلُونَ ، وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا ، فِي التَّوْرَةِ ، وَالْإِنْجِيلِ ، وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ، فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (١)

فضج المسلمون بالتهليل ، والتكبير . فألقى الله الرعب في قلوب الأحمش فلولوا الاديبار ، وتبعهم المسلمون ، يقتلون ، ويأسرون ، حتى اختلط الظلام وتم النصر للإمام « أحمد » وجيشه . اهـ

نقول : من يتصفح هذا الكتاب النفيس ، يدرك هول هذه الحروب ، التي كانت الحبشة تشنها على المسلمين ، في كل وقت ، وناحية ، ليخرجوهم من بلادهم ، حتى أنهم استعانوا عليهم بالبرتغاليين ، الذين احتلوا جزءا من « افريقيا الشرقية » فأمدوهم ، بمدافع وجنود ، مدرّبين ، على استعمالها .

« وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ » (٢)

وجاء في هذا الكتاب أيضا أن الامام « أحمد » بقى يقاتل الحبشة ، بجيشه البالغ عدد رجاله عشرة آلاف ، مدة ١٢ سنة ، من سنة ٩٣٧ الى سنة ٩٥٠ (١٥٣١ — ١٥٤٣ م) ، ثم استشهد في احدى المعارك .

وقد خلفه ابن أخته الأمير « نور بن مجاهد » على قيادة المجاهدين ، وسلطنة « هرر » فكان من خيرة القواد . وسماه المسلمون « صاحب الفتح الثاني » وهو الذي قتل النجاشي « كَلَاوْدِيُوس Galawdewos »

(١) سورة التوبة آية ١١١ .

(٢) سورة البروج آية ٨ .

سنة ٩٦٦ هـ (١٥٥٩ م) في احدى المعارك
وما زال قائماً بالأمر ، حتى لقي ربه سنة ٩٧٥ هـ (١٥٦٨ م)

ضعف السلطنة الاسلامية بعد ذلك

انتهى بموت الامير « نور بن مجاهد » مجد سلطنة « هرر » الاسلامية ،
فبادت الحبشة إلى عنتها ، وإلحاق الأذى بالمسلمين ، الذين عجزوا بعد تلك
الحروب الطاحنة عن مقاومة تعدى الحبشة عليهم .

وزادت حالتهم تأخرًا في بدء القرن الحادى عشر الهجرى ، حينما اخترق
حدود الحبشة ، من جنوب نهر « وابى » شعوب « غالات » الوثنيين ،
فانهم كادا يقضون على الاسلام ، في تلك البلاد .

وقد انتزعوا من أيدي المسلمين مملكتى « بآلى » و « هديا » وتوغلوا
في هضبة الحبشة ، وجعلوا مقرهم ما بين « هرر » و « شوى » و « أحره »
وانتشروا في بلاد كثيرة . من الهضبة

أما مسلمو شرقى الحبشة ، فتجمعوا في « أوّسه » واتخذوها مقرًا للامام
عوضاً عن « هرر »

تحرش الدولة العثمانية بالحبشة

أما في الجهة الشمالية ، فبقيت نار الحرب مستعرة ، بين المسلمين ،

والأحباش ، حتى استولى العثمانيون على « مصوع » في سنة ٩٦٤ هـ (١٥٥٧ م) وبدؤا يتدخلون في شؤون الحبشة ، ويشدون أزر المسلمين ، في المقاطعة التي تسمى الآن « الاريتريه »

فأثار ذلك نائرة الحبشة ، وانهى الامر بحرب عنيفة ، بينهم ، وبين العثمانيين سنة ٩٨٦ هـ (١٥٧٨ م) كان الظفر فيها للحبشة ، بقيادة النجاشي « ملاك صاجاد Malak Sagad » الذي قضى على مطامع العثمانيين بفتح الحبشة

تأثير الاسلام في الحبشة

إن الحملة الاسلامية التي قام بها الامام « أحمد بن ابراهيم » ومن بعده ابن أخته ، الأمير « نور بن مجاهد » لم تذهب سُدى ، فقد كانت سبباً في انتشار الاسلام في الهضبة . حتى قلب الحبشة ، في « دَمْبِيَّيَا » و « وَكَسَنُو »

ولما قدم سفراء إمام اليمن إلى الحبشة في سنة ١٠٥٨ هـ (١٦٤٨ م) وجدوا بقرب « غندار » مدينة عامرة بالمسلمين ، لأن قسماً كبيراً من قبائل « غالباً » الوثنيين ، الذين سكنوا الهضبة الحبشية ، اعتنقوا الاسلام ، ولما وجدوا فيه من الفضائل .

النجاشي المسلم

وحوالي سنة ١١٩٥ هـ (١٧٨٠ م) استولت قبائل « غالباً وُلُو » و « ايجو » على « بغمدر » Beghemder وعلى قسم من « احمره » فأصبح

رئيس « ايجو » المسلم ، وهو الرأس « كوكسا » يملئ ارادته على نفس
« النجاشى » الحبشى .

ثم أصبح الرأس « على » ابن أخيه ملكا على الحبشة « نجاشيا » فكان
ذلك فاتحة عهد جديد للمسلمين

نجاشى آخر مسلم

قال صاحب رحلة الحبشة فى الصفحة ١٥٠ :

« وقد غزا « محمد غرانى » هذه البلاد ، وفتح القسم الكبير منها ، وترك حكومتها
على وشك الانقراض ، ولم تتخلص من وهدة الدمار ، إلا بمعاونة البورتغاليين
الذين عقدوا عهداً مع الحكومة الحبشية على إباحة دخول قسس الكاثوليك
الى الحبشة فى نظير معاونتهم لها على المسلمين »

وقال فى الصفحة ١٨٦ عن « محمد غرانى » هذا مانصه :

« سألت آتوهيلا مریم عن محمد غرانى المشهور بفتوحه هناك فقال : ان
هذا الرجل كان من قواد صاحب هرر قبل أربعة قرون ثم تقوى فاستولى
على كل الحبشة مدة ١٥ سنة . انسحب النجاشى فى أثنائها الى « غوندار »
ثم أخذت البلاد منه ، وأعيدت الى أصحابها بمساعدة البورتغاليين ، وان
هؤلاء هم الذين أدخلوا من ذلك العهد الاسلحة النارية الى بلاد الحبشة ،
لاول مرة » اه

عدو يمسى حبيباً ، وجار يظل عدواً

يندهش المطلع على تاريخ الحبشة حين يعلم أن المسلمين يجاورون الحبشة من القرن الاول للهجرة . ينشرون بينهم الفضيلة ، ويراعون ذمتهم . والحبشة توالى عليهم الغارات ، وتسعى بكل الوسائل لآبادتهم . وأن قبائل «غالا» الذين هم على الوثنية ، بعد عداوتهم الشديدة للمسلمين ، وشن الغارات عليهم ، ينقلبون أصدقاء ، واخلاء ، فيدخلون في الاسلام ، ويحفظون الولاء للمسلمين .

بقية السيف أكثر عددا

إذا فحصنا عن الحقيقة ، وجدنا أن جميع الحروب التي أقامتها الأحباش على المسلمين ، بقصد إقصائهم ، عن الحبشة ، أو إبادتهم من الوجود ، لم تكن تؤثر في تعداد المسلمين ، بل بالعكس ، أصبح المسلمون أكثرية عظيمة ، بعد ان كانوا في البلاد أقلية ضعيفة . وقد صدق عليهم القول المشهور « بقية السيف أكثر عددا »

النهضة الاسلامية العلمية في الحبشة

في النصف الاول من القرن الثالث عشر الهجرى ، الموافق للنصف الاول من القرن التاسع عشر الميلادى ، قامت نهضة إسلامية في البلاد الملحقة اليوم بالحبشة ، وما حولها ، من المقاطعات ، شرقا ، وجنوبا ، بتأثير

ما بلغته « هرر » من التقدم في العلوم الاسلامية ، بفضل اتصالاتها
باليمن ، والحجاز

وقد تأثر بذلك أيضا غرب الحبشة ، بعد أن فتح السودان في أيام
المغفور له عزيز مصر الأكبر «الحاج محمد علي باشا»

وقد بلغ التقدم الاسلامي أوج مجده أيام احتلال مصر لزيلع (١)

و «هرر» (٢) في حكم المغفور له الخديو اسماعيل باشا ، ذلك الاحتلال

القصير الأمد ، من سنة ١٢٩٢ إلى سنة ١٣٠٢ هـ (١٨٧٥ - ١٨٨٤ م)

وقد لاحظ علماء الافرنج وكتابهم ذلك التقدم ، ونوهوا به ، فقد لاحظ

الكاتب النمساوي « پولاشكي Paulitschke » الذي زار « هرر » في سنة

١٣٠٢ هـ (١٨٨٥ م) ان فيها عددا كبيرا من المبشرين المسلمين (يقصد

الكاتب بالفضة المبشرين علماء الاسلام)

وقال حين زار « غالاً » الواقعة غرب مدينة « هرر » ما ملخصه :

(١) في جمادى الأولى سنة ١٢٩٢ هـ (يونه ١٨٧٥ م) أرسلت الدولة العلية

للخديو اسماعيل مايفيد إحالة منية زيلع وملحقاتها على الحكومة المصرية مقابلة

١٥ ألف جنيه عثمانى تعلق على الجزية . (٦٤٦ التوفيقات الالهامية) .

وفي ربيع الأول من سنة ١٣٠٢ هـ (ديسمبر ١٨٨٤) صرحت إنجلترا لايطاليا

باحتيال زيلع أو مصوع .

(٢) هرر فتحها العساكر المصرية تحت قيادة محمدرؤف باشا في سنة ١٢٩٢ هـ

ثم انسحبت العساكر منها في سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) راجع التوفيقات الالهامية

«مما أدهشنى فى بلاد «غاللا» كثرة الدعاية الاسلاميه الغيوره فيها ، وقد لاحظت ان الشافعيه فى «هرر» على اتصال دائم بالحرمين . فى جزيره العرب ، وان المئات من الشبان يأتون «لزيلع» و «بربره» كل سنه ، للتبشير (أى لنشر الدين الاسلامى) ويتسع نطاق أعمالهم الدينيه ، ويتقدم بسهوله ، بين قبائل الصومال - وان لم توجد فيهم روح الاسلام الصحيح كثيرا -

وقد وزعت الحكومه المصريه ، على المسلمين ، فى «هرر» عندما احتلتها عددا عظيما ، من المصاحف الشريفه ، الجميله الطبع ، أكثرها مطبوع فى مطبعة بولاق الأميريه ، حتى ان مسلى «شوى» حافظوا أشد المحافظه على قواعد دينهم ، وكانت قوافل الحاج ترد منهم كل عام الى «تغره» و «زيلع» اه

وكتب الماجور «هُنثر» Hunter فى رجب سنة ١٣٠١ هـ (ابريل سنة ١٨٨٤ م) يقول : «انه من المحتمل اسلام جميع القبائل ، اذا دام الحكم الحاضر بضع سنوات أخرى»

محمد رؤف باشا حاكم «هرر»

كان رؤف باشا الحاكم المصرى «لهرر» قد أصلح الفاسد من اخلاق الصوماليين ، واستمال قلوبهم اليه ، فتعلقوا بمحبته ، - لأنه قتل أمير «هرر»

المسمى « محمد عبد الشكور » الذى اشتهر بظلمه . وسوء سيرته

ونشر الدين فى « هرر » والعدل ، والنظام

وبما يؤثر عنه قوله للصوماليين : « أتم تدعون بأنكم مسلمون ، ولكن الشريعة الاسلامية ، تنهى عن القتل . فضعوا ، إذا أخبتم ، ريشة النعام البيضاء ، على رؤسكم ، ولكن ضعوها بعيدا ان تكونوا أتيتم عمل الجندى الباسل ، فى قتال قانونى ، لا بعدان تكونوا ارتكبتم جريمة القتل ، بالاغتياى ، والخديعة (١) »

تعدى الأحباش على « هرر » الاسلامية

بعد ان أخلى المصريون ، اماره (هرر) وانسحبت منها حاميتهم المصرية ، فى رجب سنة ١٢٩٢ هـ (ابريل سنة ١٨٧٥ م) أعيد إلى عرش الامارة « الأمير عبدالله . بن على » فلم يحل ذلك للرأس « منليك » صاحب « شوى » فاغار عليه بجيشه ، وقاتله فى (جلنقو) فى سنة ١٣٠٥ هـ (يناير سنة ١٨٨٧ م) وهزمه ، ففر الى بلاد « اوجادين »

(١) قبائل الصومال تميل الى القتل ، فاذا قتل أحدهم واحدا من الناس ، كان له الحق فى أن يضع فوق رأسه ، ريشة بيضاء من ريش النعام ، ويعرف غيدي ضحاياهم بعدد ما على رأسه من الريش . وعندهم ان الشاب الذى ليس على رأسه ريشة نعام بيضاء لا يعد صالحا للزواج - لذلك - تلقاهم إذا شرع واحد منهم فى الزواج . أخذ يبحك أولاً على ضحية من القبائل المجاورة ، أو الأجانب الرواد ، يبرر يقتله أخذ يد خطيبته . اه رحلة الحبشة ص ٤٨ و٤٩

وقام بعده ابن عمه (علي) فلم تطل مدته ، مع حامية المدينة ، التي كانت من الجنود الأحباش ، فقبض عليه بأمر حاكم « شوى » وأرسل اليه ، فزجه في سجن « شوى »

أما المسلمون الذين كانوا يقطنون في الهضبة الحبشية فقد لاقوا من العذاب ، والأذى ، والاضطهاد ، شيئاً كثيراً

حرق جامع غوندار واضطهاد المسلمين

أما في القسم الشمالى من بلاد الحبشة ، فان الرأس (كاسا) اغتال الرأس (علي) سنة ١٢٦٩ هـ (١٨٥٣ م) ودعى نفسه (نجاشيا) على الحبشة في سنة (١٨٥٥ م) وسمى نفسه (تيودوروس) فجعل همه اضطهاد المسلمين والحاق الأذى بهم ، وتعطيل شعائرهم الدينية ، حتى أنه أشعل النار في جامع عاصمة (غوندار)

وبعد ان اتحر في حربه مع الأنكليز في سنة ١٨٦٨ م قام بعده النجاشى « يوحانس » فزاد في الآساءة إلى المسلمين ، لأنه كان يرى أن الإسلام خطر على مملكته ، بعد أن توسعت الحكومة المصرية الاسلامية في فتوحاتها ، واحتلت السودان ، ومصوع ، والهضبة الاريترية الشمالية ، فضغطت على حدود الحبشة غربا وشمالا

الحملة المصرية على الحبشة

ولا يخفى أن مصر كانت جهزت حملتين ضد الحبشة ، الأولى كانت في سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م) بقيادة جنرال دائمركي ، فقهرت ، وقتلت عساكرها في واقعة « غندات » أو « غودًا غودي » على مرأى من النجاشي « يوحانيس » والثانية كانت بقيادة الأمير « حسن باشا » ابن الخديوي « اسماعيل باشا » فدحرها الأحباش أشداندحار ، في موقعة « قراع » سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) وأسروا من نجا من القتل ، وأجبروا ضباطها المصريين ، على أن يمروا أمام الجمهور وهم عراة استهزاء بهم وسخرية .

اكراه خمسين ألفا من العامة على التبصر

وذكر المؤرخ الشهير « ارنولد » Arnold في كتابه النفيس The Preaching Of Islam المطبوع في Westminster عام ١٨٩٨ م ان خمسين ألفا من المسلمين ، أكرهوا في سنة ١٨٨٠ م على قبول العماد ونشأ طبعاً عن هذا الضعف الديني ، اشتداد العداوة الدينية ، والجنسية بين الحبشة ، والمسلمين ، وهاجر من المساميين عدد عظيم عن طريق القلابات فرارا بدينهم ، وأصبح حي الاسلام في مدينة « غوندار » عام ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣ م) خاويًا ، خاليًا من سكانه

وهب سكان بلاد « ولؤوغالا » في الجهة الشرقية من مقاطعة « احجرا » إلى الثورة ، تلقاء الاضطهاد الحبشى للاسلام .

فزحف اليهم النجاشى « يوحانس » « ومنليك » ملك « شوى » سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٦ م) وأمعنا في النفوس قتلا ، وذبحا ، وفي البلاد تخريبا وهدما ،

الانتقام الالهى من النجاشى يوحانس

وقد انتقم الله سبحانه ، من النجاشى « يوحانس » فلقى حتفه ، فى واقعة « القلابات » على يد الدراويش فى (مارس سنة ١٨٨٩ م) الذين انتقموا للمسلمين ، من اضطهاد الحبشة لهم ، والتعرض لدينهم .

أنشودة حماسية ضد المسلمين

من جراء هذه الحروب ، المتتابة ، ازداد الحبشة بغضا على بغض للمسلمين وأخذوا ينشدون الأغاني بوجوب الفتك بهم .

وقد نقل الرواد أنشودة ، يتغنى بها أحباش « أحجره » وترجمتها الى العربية هكذا :

« لقد ولدت هذه البقرة فى العام الماضى ، وثدياها فى هذه السنة لا يزالان ممتلئان ، فكيف يطيب لنا العيش اذا لم تذبح هذه البقرة ؟ »

والتورية في هذه الأنشودة محصورة في الكلمة الأخرية « إجتلام »
فاذا نطق بها هكذا « اجس لام » (Egges—lam) كان معناها « هذه
البقرة » واذا نطق بها « اج اسلام » (Egg—eslam) كان معناها هؤلاء
المسلمون .

فانظر الى أى درجة بلغت عداوة الأحباش للمسلمين

النجاشي منليك والأسلام

فلما تملك النجاشي « منليك » على الحبشة ، آلى على نفسه ، ان يخضع جميع
الممالك الاسلامية ، والبلاد الوثنية ، المتاخمة للهضبة الحبشية ، فبدأ بامتلاك
« أوسة » الواقعة في السهل المنخفض للجهة الشرقية ، وقد اتخذها المسلمون
مقرًا لهم ، بعد ذهاب « احرا » منهم

ثم أخضع بلاد « الأوجادين » و « غالا أروسي » و « غالابورانه »
وأقاليم « لمو » و « جمتا » و « ليا كة » و « ولاغنه » وملك « كفا »
التي يقطنها شعب « سداما »

ولما وقعت « لمو » بيد الأحباش في سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) كان
جميع أهلها قد أسلموا ، منذ النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري
التصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي) تبعًا لحاكمهم « أبابا باغيو »
وكانت هذه المقاطعة في سنة ١٢٩٦ الهجرية (١٨٧٩ م) قد بلغ بها الإسلام

أوج عزه ، وقد اعتنقته الطبقات الفقيرة ، التي مزجت به كثيرا من عقائدها القديمة .

وقد حضر إلى هذه المقاطعة طائفة من القراء ، والعلماء ، لارشاد أهلها ، وغير أكثر السكان أسماءهم باسماء اسلامية ، « كمصطفى » و « علي » و « عمر » إلا أن الرؤساء حافظوا على أسماءهم الحربية ، بلغة « الغالا » وما زال السواد الأعظم من أهل « لِمُو » مسلمين .

وهذا مما يدل على استعداد تلك القبائل ، المتوحشة إلى اعتناق الاسلام والتمتع برفاهيته ، ومدينته ،

ولكن قلة المرشدين إلى الدين الصحيح ، تجعلهم يتخبطون في عقائده تخبطا

وإذا أضفنا إلى ذلك حرص ملوك الحبشة ؛ على اضطهاد المسلمين ، والخيولة بينهم وبين تقدمهم ادركنا أن الاسلام في الحبشة يمشى زاحفا على أرض شائكة

سلطنة جما الإسلامية

كانت « جما » سلطنة وثنية ، وأسلم أهلها في النصف الأول من القرن الماضي ، بعناية تاجر مسلم مشهور باسم « نقادى شوى » و « بَعْمَدَر » ومعنى « نقادى » أى « دليل القافلة » ، وأصبحت سلطنة اسلامية ، وملكها السلطان محمود بن داود المشهور باسم « أبنا جفار » أى صاحب الحصان الكميت وهو من الألقاب التي يلقب بها الأبطال عند قبائل الغالا)

وقد تولى حكمها في سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) وكان على علاقة حسنة ، مع الحكومة الحبشية ، ومعيناً لها في ادارة البلاد الداخلة ، وهو المرجع الاعلى في المحاكمات ، واليه ترجع حماية الأجانب في الأسواق ، باشراف (نقاد راس) أى رئيس التجار .

ومع كل هذه المعونة التى كان يبذلها سلطان (جميًا) للحبشة ، توجهت الى سلطنته اطماع الحبشة ، فاعتدت على استقلالها ، وأدخلها «منليك» تحت حمايته في سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨١ م) تاركاً لها استقلالها الداخلى ، كباقي مقاطعات الحبشة المسيحية

وقد ابرم معها النجاشى (منليك) معاهدة نص فيها بأنها تظل مملكة وراثية فى سلالة «أبأ جفار» وعليها أن تؤدى جزية سنوية ، إلى حكومة «اديس ابابا» وكانت حكومة «اديس ابابا» تزيد فى مقدار هذه الجزية سنة بعد سنة ، قاصدة أضعاف هذه السلطنة ، الاسلامية ، الوحيدة ، فى الحبشة .

وكانت ترى ان زيادة الضرائب تؤدى الى الثورة ضد «أبأ جفار» سلطانها ، ولكن لتعلق الأهالى المسلمين ، بسلطانهم ، لم تنجح هذه التجربة .

كيف كانت سلطنة جما فى نظر المسلمين

لما كانت سلطنة جما هى السلطنة الاسلامية الباقية فى الحبشة ، كانت الملجأ الوحيد لكثير من مسلمى الأحباش ، الذين يميلون إلى الأمن ،

والدعة ، باعتبارها السلطنة الاسلامية الوحيدة . التي بقي لها استقلالها الداخلي ويجدر بنا في هذه النقطة أن نذكر ما كتبه « السير دارلي » H. Darley في كتابه الانكليزي المعنون Slavs and Tvory المطبوع في لندن سنة ١٩٢٦ ميلادية في وصف أعمال السلطان « ابا جفار » وهي شهادة لها قيمتها حيث قال : ما ترجمته : لم يكتف السلطان « ابا جفار » بان يخلص أمته من براثن الاحباش ، بل قادها الى حياة الرخاء ، والغنى ، بتعزيزه التجارة في البلاد وحسن السياسة ، حتى اني اعتقد انها ستصير أغنى الدول الافريقية ، وأسعدها .

على أنني أخاف على مصير هذا الشعب ، الهادي . المحب للسلم ، والراحة ، عند وفاة سلطانه « ابا جفار » لانه لا يمر في قطره حبشى ، إلا وينظر اليه بعين الطمع ، ويسيل لعابه ، من فرط الشهوة ، على خيراته .

فلا شك أن الحبشة سيقصدون الاستيلاء عليه ، إذ من أمثالهم السائرة ، قولهم : « بعد السنغالا الغالا » فلو قدر ، وتحقق مبتغاهم ، لاصبح هذا القطر ، بعد زمن قصير ، على الحالة التي عليها سائر اقاليم الحبشة - لان سعادة « جما » منوطة بنشاط شعبيها ، وحسن حكم ملكها الحر ، المتساهل ، الذي لا يالو جهداً في تشجيع الصناعة والتجارة »

هذا ما قاله الكاتب الانكليزي الشهير « السير دارلي » في كتابه القيم ، فاصاب برأيه السديد كبد الحقيقة ، لان ملوك الحبشة عز عليهم ، أن توجد في امبراطوريتهم ، الواسعة ، سلطنة اسلامية ، وقد تحقق ظنه بالغاء هذه السلطنة .

الغاء سلطنة « جما » الاسلامية وضمها للحبشة

لما توفي « أبًا جفار » الى رحمة الله تعالى سنة ١٣٥٣ هـ (سنة ١٩٣٤) وخلفه على عرش السلطنة ابنه « عبدالله » أخذ النجاشي الحالى « هيلاسى » يضيق الخناق على استقلال « جما » وفرض عليها شروطا ، لا تطاق .

ثم أعلن ضمها الى مملكته ، أى نزع منها استقلالها الداخلى ، ضاربا بالمعاهدة التى أبرمها معها النجاشي « منليك » سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨١ م) عرض الحائط .

وبسقوط هذه الممالك ، الاسلامية ، الزاهرة ، لم يبق فى الحبشة سلطنة اسلامية ، مستقلة ، بعد أن كانت الممالك الاسلامية فيها سبعا ، فى عصر واحد ، لكل واحدة منها جيش خاص ، وادارة خاصة ، واستقلال فى داخلتها ، كأنما ملوك الحبشة يعتقدون بأن قيام دولة اسلامية ، فى الحبشة قوية ، تكتمسح كل دين فيها وتجعلها « امبراطورية اسلامية افريقية »

ولكن اثبت التاريخ غير ما يظنون . فقد ذكر صاحب « مسالك الأبصار » بعد تعداد هذه الممالك ما نصه :

« وجميع ملوك هذه الممالك ، وان توارثوها ؛ لا يستقل منهم بملك إلا من أقامه سلطان « احرا » .

ثم قال وهذه الممالك ضعيفة البناء ، قليلة الغناء لضعف تركيب أهلها

وقلة محصول بلادهم ، وتسلب « الحطى » (أى النجاشى) سلطان « احرا .
عليهم .

ثم قال : وهم مع ذلك كلمتهم متفرقة ، وذات بينهم فاسدة ولو اتفقت
كلمة هؤلاء الملوك السبعة ، واجتمعت ذات بينهم ، لقدروا على مدافعة
« الحطى » أو التماسك معه ، ولكنهم مع ما هم عليه من الضعف ، واقتراق
الكلمة ، بينهم تنافس ، وهم على ما هم عليه من الذلة ، والمسكنة للحطى ،
عليهم قطائع مقررة ، تحمل إليه فى كل سنة ، من القماش . والحريز ،
والدكتان ، مما يجلب إليهم من مصر ، واليمن ، والعراق اه

والعاقل لا يشك فى أن ملوك الحبشة ، كانت توقع العداوة ، بين
هذه الممالك الاسلامية ، وتنفرها من بعضها ، بالدسائس ، حتى لا تجتمع
كلمتها ، على القيام فى وجهها .

زواج الرؤس المسيحيين بالنساء المسلمات

فى الحبشة

إذا رأى أحد الرؤس الاحباش ، أو سواهم ، من الحكام ، امرأة مسلمة ،
فانه يتزوجها ، وهو على النصرانية ، ولا يستطيع المسلمون ، أن يعارضوه
وإلا عرّضوا أرواحهم ، للقتل ، وأمواهم ، للنهب .

وقد يتخذها خدناً وهو أحد أنواع الزواج عندهم

جاء فى رحلة الحبشة ما خلاصته بتصرف :

إن الزواج عند الأقباط المسيحيين ثلاثة أنواع :
الأول : يسمى « روموز » ويتم بأن يطلب الرجل من المرأة ، أن
ترضاه بعلا ، فان رضيت ، دخلت في عصمته ، ويتفرقان ،
مقى أرادا .

الثانى : الزواج المدنى بتراض من الطرفين ، وحضور الشهود

الثالث : الزواج الدينى على يد القسيس
والنوع الأول هو اتخاذ الاخذان ، وأى امرأة مسلمة حبشية ، يطلب
منها الحاكم المسيحى أن تكون له خدنا وتأتى ؟ انها ان رفضت أمره جاءت
لنفسها وأهلها بالطامة الكبرى

وإليك ما كتبه صاحب «صبح الأعشى» فى الجزء الخامس بالصفحة ٣٢١

قال : وكان الفقيه « عبد الله الزيلعى » سعى فى الأبواب السلطانية ، عند
وصول رسول « احرا » إلى مصر ، فى تنجيز كتاب « البطريك » إليه ،
بكف أذيته عن فى بلاده ، من المسلمين ، وعن « أخذ حريمهم » ، وبرزت
المراسيم للبطريك بكتابة ذلك

فكتب اليه عن نفسه كتابا ، بليغا ، شافيا ، بعبارات أجاد فيها .

ثم قال المؤلف : « وفى هذا دلالة على الحال » اه أى دلالة على حال
المسلمين هناك ؛ والتعرض لنسأهم ، وهى حال من أسوأ الحالات . التى
وصلت اليها أقلية مسلمة ، فى دولة متمدنة ، أو متوحشة ، وهذه مصيبة
عظيمة ، لم يصب بمثلها المسلمون ، فى غير الحبشة

تنصير المسلمين في الحبشة

الفوضى الدينية في الحبشة بالغة حدما ، وملوك الحبشة يكرهون اقامة شعائر المسلمين الدينية ، ويظهر لك ذلك جليا ، واضحا ، من قصة الرأس « مينخائيل » وولده النجاشي « ليدج اياسو » فقد كان الشاب « محمد علي » المسلم من رؤس قبيلة « ولو غالا » فأعجب به النجاشي « منليك » فحمله على التنصر ، فارتد ، بلا تردد ، وتسمى بالرأس « مينخائيل » وتزوج احدى بنات « منليك » فولدت له ولدا تسمى « ليدج اياسو » فأحبه جده وقدمه ، وجعله وارث عرشه

ولما مات النجاشي « منليك » في سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) ارتقى عرش الحبشة « ايدج اياسو » فأظهر ميلا ، وعطفا ، على المسلمين ، كما عرف أن أباه كان مسلما .

ويظن الكثيرون أن « ليدج اياسو » قد أسلم ، لما كان يظهره من المحبة ، والعطف ، على المسلمين ، على عكس ما كان يفعله ملوك الحبشة

ولما تأججت نيران الحرب الكبرى ، وامتلاّت ممالك الدنيا بالجواسيس كان في الحبشة بعض الألمان ، والتركي ، فشجعوا « ليدج اياسو » وحسنوا له تأسيس « امبراطورية اسلامية في افريقيا الشرقية » وفعلا أخذ يهتم بتحقيق هذه الامنية .

فلما علم رجال الاكليروس ، والرؤساء الأقباط بذلك ، اضطربوا ، وخافوا العاقبة

فاتفقوا مع « المطران » والراس « تفرى » وعقدوا اجتماعا ، في « أديس أبابا » وخلعوه ، وأنزلوه عن عرش « اثيوبيا » في سنة ١٣٣٤ هـ (٢٧ سبتمبر سنة ١٩١٦) ونادوا بالأميرة « زوديتو » ابنة « منليك » امبراطورة على الحبشة ، على أن يخلفها الرأس « تفرى » ابن الرأس « ما كونين » على العرش

وفي سنة ١٣٤٩ هـ (سنة ١٩٣٠ م) توفيت الامبراطورة « زوديتو » فنودي بالراس « تفرى » امبراطورا على الحبشة . وسمى « هيلاسلاسى » أما « ليدج اياسو » فقبض عليه ، وأودع السجن سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) ثم تمكن من الفرار في سنة ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) ولكن قبض عليه ثانية ، والقي في احدى قمم « هرر » في سجن منفرد ، وأشيع بعد ذلك أنه مات . وكان قد تزوج بأمره مسلمة ، تسمى « دنكله » ورزق منها بولد ، سماه « منليك » على اسم جده ، يبلغ الآن نحو ١٩ سنة ، يعيش بائسا في « تغره » في الصومال الفرنسى .

وذكر الأب « متاوس » في رسالة نشرها بمناسبة خلع « ليدج اياسو » واعتقاله ، حمل فيها على « ليدج » المذكور حملات شديدة ، قال فيها : « ان هذا النجاشى لم يكفه أنه جحد إيمانه المسيحى (مما يدل على أنهم اعتقدوا أنه اعتنق الاسلام) بل رضى ان يشيد لهم أى للمسلمين جامعا في « دير داوه » اه انظر كيف عدوا رضاه قبول بناء جامع للمسلمين ، يقيمون فيه شعائر دينهم ، ويعبدون ربهم ، جريمة كبرى ، تبرخلعه وزجه فى اعماق السجون

ففي هذه الحكاية القصيرة ، نرى ان النجاشي دعا رجلا مسلما ، الى التنصر ، فأجابه خوفا وطمعاً

وان « ليدج اياسو » تزوج بامرأة مسلمة ، وهو على دين النصرانية

وإذا شئت أن تعرف ما بلغه ظلم ملوك الحبشة ، للمسلمين ، الذين يرفضون الدخول في النصرانية ، فاقراً ماجاء في « رحلة الحبشة » فقد وصف فيها مؤلفها ، تلك الوحشية ، التي تمثل أفظع جرائم الظلم ، قال :

« وكان عند المتمهدي رجل من أعيان الأحباش ، يسمى « محمد جبريل » وفد على المتمهدي ، واتبعه ، فارسله الى الحبشة ، ليدعو جميع المسيحيين فيها ، إلى الاسلام ، ويدعو سائر المسلمين الى الايمان بالمهدية ، والخضوع للمهدي

فصدع « محمد جبريل » بأمر المتمهدي ،

فلما رأى النجاشي « يوحانس » سعى هؤلاء . ودعوتهم . شغل هذا الأمر باله ، وبات في هم عظيم . وأخذ من ذلك الوقت ، يضطهد المسلمين .. .

فأدى اضطهاده هذا ، الى هجرة كثير منهم ، والتجأهم الى شيعة المتمهدي وأقاموا محلاً لاقامتهم ، في المكان المسمى « عراديب » شمالي « القلابات » وسموه « تبارك الله » .

ثم قال : ورأيت بعيني بعض المسلمين ، الذين كان « يوحانس » قد قطع أيديهم ، وأرجلهم «

فانظر كيف ان النجاشي لم يجد عقابا للمسلمين الذين لم يقبلوا الدخول في النصرانية ، سوى تقطيع أيديهم ، وأرجلهم ، من خلاف ، كما فعل « فرعون مصر » في السحرة الذين آمنوا بموسى عليه السلام .

* * *

فرغنا من ذكر حال المسلمين ، في الحبشة ، فيما مضى ، وسنذكر أحوالهم ، ومواطنهم ، وعددهم ، في هذه الأيام ، ونقارنها بحال اخوانهم ، الساكنين في البلاد المجاورة لمملكة « أثيوبيا » ليعلم المسلمون ، في مختلف الأقطار ، أن مسلمي الحبشة مع ما تحملهم حكومة النجاشي ، من متاعب هم عضلات سواعدها ، وشرابين حياتها ومنابع ثروتها ، ولحام قوتها ولو أنها قابلت اخلاصهم لها ، مقابلة الدول الأخرى ، لرعاياها المخلصين لأصبحت من أرقى الممالك شأنًا ، وأعزها مكانًا

مواطن الاسلام داخل حدود الحبشة

أولا — ينتشر المسلمون في جميع أرض الحبشة ، بين كثرة وقلة . ففي جنوب الحبشة ، وشرقها ، طائفة كبيرة ، من المسلمين ، يقيمون في « هرر » ، « أوجادين » ولهم ارتباط شديد بمسلمي « أروسي »

وفي الغرب أكثرية المسلمين في جهات « غاله الغوما » و « غما » و « قيره » و « لمواناريا » و « جما » و « جارو » و « شمارو » و « البيا » و « هديا » و « ضضله »

أما سكان «غوراغه» و «ننو» و «واليزو» فهم خليط من المسلمين،
والمسيحيين .

ثانياً — وفي غرب «أديس ابابا» توجد قبائل «وُرَجِي» و «كُتِي»
وهم مسلمون .

وربما كانوا من سلالة طوائف اسلامية ، كانت تقيم على طول الطريق
التي كانت تربط مسلي الشواطىء الافريقية الممتدة على البحر الاحمر ،
بالشعوب الاسلامية فى غرب الحبشة .
وهذه الطريق مهمة الآن .

ثالثاً — و يقيم فى « شوى » و « احراه » و « التخرى » جماعات من المسلمين .
وقد انتشروا فى تلك النواحي ، وربما كان بينهم قبائل منحدره من
أصل يمني

رابعا — جميع سكان « اوسه » من بلاد « الدناكل » مسلمون .

تعداد المسلمين فى الحبشة

لم يحصل فى الحبشة احصاء يوثق به ، ولكن اختلف الاحصائيون فى
تعدادها ، تعداداً بوجه التقريب وأقربه أن تعداد سكان الحبشة تسعة ملايين ،
منهم ثلاثة ملايين مسلمون ، وثلاثة ملايين ونصف مليون مسيحيون .
ومليونان ونصف مليون على الوثنية ، وأديان أخرى .

وقيل : إن تعداد الحبشة ١٢ مليوناً منها ٨ ملايين مسلمين ، وهذا وان

كان أكثر من الحقيقة على ما يظن - إلا أنه يشير الى وجود أكثرية عظيمة ،
للعنصر الاسلامى ، فى الحبشة .

أسماء الشعوب الاسلامية فى الحبشة

يعرف المسلمون فى الحبشة . بأسماء مختلفة ، كاسلام (وهم المسلمون من
أصل حبشى)

ونقادى ، (وهم التجار) . وهذه التسمية تدل على أن التجارة ،
فى يد المسلمين .

وجبرتى ، وهم بنو عقيل بن أبى طالب ، الذين سكنوا جبرت فى بدء
دخول المسلمين ، إلى الحبشة ، وأسسوا مملكة « وفات » وهى أول مملكة
إسلامية فى الحبشة ، كما قدمنا ، ثم انتشروا فى بقية البلاد .

أما مسلمو السهول الواطئة ، فيسمون « نباده » أو « إسلام بحرى »
أى المسلمون الذين جاؤا من البحر .

لغات المسلمين فى الحبشة

يتكلم أكثر المسلمين فى الحبشة اللغة العربية ، لأنها لغة القرآن ، وقد
حافظوا عليها من عهد دخول أجدادهم من عرب اليمن ، والحجاز ، الى البلاد
وتتكلم كل طائفة - ددا ذلك - بلغة المقاطعة التى تعيش فيها . وهذا

طبيعى بداعى المعاملة ، فسلمو شمال الحبشة يتكلمون اللغة « الاحرية »
وسكان اراضى « هرر » لهم رطانة بربرية .

وفى غرب الحبشة ، وجنوبها ، تسيطر اللغتان « الغالية ، والصومالية »

المذاهب الاسلامية فى الحبشة

أكثر مسلمى الحبشة يتبعون على مذهب الامام « محمد بن ادريس »
الشافعى رضى الله عنه

ويوجد فى بعض الانحاء الشمالية « أخناف » وقليل من الحبشة من هم
على مذهب الامام « مالك » رضى الله عنه

ولا يوجد فى الحبشة حنابلة « وهذا أمر طبيعى ، لان الحنابلة ، معروفون
بشدة تمسكهم بالسنة المحمدية ، وتصلبهم فى دقة اتباعها ، تصلبا حملهم فى كثير
من العصور على مقاتلة مخالفيهم .

ولو كان فى الحبشة « حنابلة » لآبادتهم الحروب ، أو يقيمون السنة
بحدافيرها .

نشاط المسلمين الطبيعى فى الحبشة

الرواد الذين جاؤا ببلاد الحبشة ، طولا ، وعرضا ، ودرسوا طبائع سكانها
واحتكوا بالأهالى ، زمنا طويلا ، ووقفوا على سر حياتهم الاجتماعية ، ومبلغ
مداركهم ، شهدوا بان مسلمى الحبشة عموما ذوو نشاط ، وعلى جانب عظيم ،

من الذكاء ، ولهم التفوق على غيرهم ، من السكان ، في حلبة تنازع البقاء ،
وقد صدق أوامرك الشهود ، العدول ، إذ لولا ذلك ، لجرفهم سبيل
الطغيان الحبثى ، وأبادهم بكثرة الحروب ، وابتزاز الأموال ، والضغط عليهم ،
من ملوك الحبشة ، ورؤسها ، في جميع مرافق الحياة

الصناعة ، والزراعة ، والتجارة

يتعاطى المسلمون في الحبشة ، مختلف الحرف ، والصناعات المفيدة ،
ولهم حظ وافر في التجارة

وقد ذكرت الجرائد في هذه الأيام ، أن التجار في الحبشة ، قدوة
للأمبراطور ، مساعدة مالية ، كبيرة ، قدرت بملايين الجنيهات ، والريالات
ووعده بمساعدات أخرى مثلها

وقد مرّ أن أغلب تجار الحبشة مسلمون ، ولئن كانت هذه المساعدة
عن طيب خاطر ، فهم أهل لها ، ومثلها

وان كانت عن طلب ، وضغط شديد ، فشيء احتملوه ، واعتادوه ، من
قديم ، فانهم مهردون بالمصادرة . في كل لحظة ، فما ظهرت على أحدهم آثار
نعمة ، الاطمع الرؤساء بسلبها منه .

وهنا ثبت ما كتبه المرحوم صادق باشا العظم في رحلته للحبشة بالصفحة
١٥٩ وهو في « اديس ابابا » قال : « وأتى لزيارتنا « أتوبالا ينتخ » الرجل

الذى كنا تعرفنا عليه في مرحلة « تاديجا مالكا » وقد كان اكرمنا غاية الاكرام؛
وأراد أن يهديني بغلا ، وكنت رأيتة في « تاديجا مالكا » بملابس ثمينة ،
وعلى رأسه قبعة جميلة ، وعليه ثوب من الجوخ الأسود ، مبطن بالحرير .

ولكن لما جاء لزيارتنا هنا ، رأيتة بعكس الهيئة المذكورة ، اذ كان حافي
القدمين ، مكشوف الرأس ، وملابسه قبيص ، ولباس ، مصنوعان من البفتة
السمراء ، وعليها ثوب من اللباد العريض

وجلسنا نتكلم ، وكان صاحب المنزل ، يترجم كلامنا .

فسألت المترجم عن سبب ذلك ، من غير أن يشعر الرجل

فقال : أنه عند ما يكون في العاصمة ، يضطر لمقابلة كثير من الرؤساء ،
والأمراء فلذلك يرتدى بالملابس البسيطة . اظهاراً للتواضع . والخضوع
والطاعة . حتى أن بعض الأغنياء منهم ، يتظاهرون في بعض الأحيان بالفقر
والفاقة . أمام الرؤساء .

وهذا يعد من جهة « تواضعا » ومن جهة أخرى ، بابا للوصول الى
السلامة ، من طمع الطامعين .

وقد ترك زائري جميع خدمه ، وبغاله ، في « شولا » وحضر وحده

الى « أديس أبابا » . اه

وهذه الحكاية على قلة كلماتها ، قد ذكرها المؤلف ، ولم يعلق عليها
بشيء . مع أنها ذات معنى كبير ، ومغزى خطير ، يدلنا على ما عند رؤساء

الحبشة ، وملوكها ، من الكبرياء ، والجبروت ، في معاملة المسلمين . اذ يعز عليهم ، أن يروا في بلادهم ، مسلماً يظهر عليه أثر النعمة ، والثراء ، ويعدون ذلك منه امتهاناً لمقامهم .

ولا يحلو لهم إلا إذا كان فقيراً ذليلاً .

سهوة نشر الاسلام في الحبشة بين الشعوب الوثنية

يحدث دعاة الاسلام ، في الحبشة ، مرتعاً خصيباً ، في الشعوب الوثنية ، لنشر الاسلام لما يجدون في هذا الدين ، القويم ، من الفضائل ، التي تقوم على العدل ، والمساواة ، والصدق ، والأمانة . والنظافة ، والبعد عن الفحشاء

وقد لاحظوا ذلك طبعاً في معاملاتهم للمسلمين ، فكان الرؤساء الوثنيون يدخلون في الدين الاسلامي ، فرحين . مستبشرين ، ويلحق بهم جميع متبعيهم وسرعان ما ينقل هؤلاء من الخمول إلى النشاط ، ويطرحون الكسل جانبا ، كما حصل في القرن الماضي

وقد عانى المبشرون بالمذاهب المسيحية ، الشدة ، في ادخال الوثنيين ، في حظيرتهم ، أو رد مسلميهم عن الاسلام ، فلم يحصلوا على شيء من الفائدة وما يليق ذكره هنا ما رواه الرحالة « شكّي » عن الحاكم « جيره » المتوفى سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) أنه وصلت اليه نسخة من الوصية ،
(٥)

التي نشرها خادم الحجرة النبوية الشريفة ، وقال فيها أنه رأى النبي (ﷺ) في نومه فأمره أن يرشد المسلمين ، إلى العمل بشرعه ، وسنته .

فلما قرئت على الرأس « جيره » أسلم من فوره ، وتبعه كثير ممن هم تحت سلطانه ، ودخلوا في الإسلام .

وعلى أثر ذلك تناقل الناس نسخاً من هذه الوصية . وانتشرت في « افريقيا الشرقية » حتى بلغت « تانجانيقا » سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) ولجأ اليها المسلمون ، في نشر الإسلام ، وتقوية دعائمه .

تأثير الطرق الصوفية في نشر الإسلام

ومن الوسائط الفعالة ، والتي كانت . ولا تزال ، أكثر الوسائط نفعا وأشدّها تأثيرا ، في نشر الإسلام ، وتمكين روابطه بين المسلمين في الحبشة هي الطرق الصوفية ، والقائمون بها هناك على جانب عظيم . من التقوى ، والصلاح وحب الاصلاح

فمن هذه الطرق « الشاذلية » و « القادرية » و « الحتمية » .

وقال المرحوم صادق باشا العظم في رحلته بالصفحة ١٦٧ انه سمع بعض المسلمين في الحبشة يمشدون قصائد فيها إسم الشيخ « عبد القادر الجيلاني » صاحب الطريقة القادرية ، رضى الله عنه .

ومشايخ هذه الطرق يجتهدون في حث اتباعهم ، على المحافظة على اقامته

الفرائض والسنن ، وعلى نشر الدين المحمدي ، ما وجدوا لذلك سييلا ،
واتباعهم ينقادون الى أوامرهم ، ويعملون بها قدر المستطاع

حسنة الطرق الصوفية في الحبشة

من حسنة هذه الطرق في الحبشة ، أنها تؤدي أعمال الجمعيات الخيرية
الاسلامية ، فتذكي نار الحماسة ، في صدور اتباعها ، وتجعلهم قوة متحدة ،
على نشر العلم ، والفضيلة .

وقد فتحوا المكاتب ، والمدارس ، المجانية ، في جميع البلاد ، والقرى
التي لهم فيها اتباع ومريدون .

لذلك : نجد الاهالي يتفانون في حب مشايخهم ، فيجعلون قبورهم بعد
موتهم « مزاراً » يقصدونه ، للزيارة ، والتبرك .

ومن أشهر قبور الأولياء هناك قبر الشيخ الصالح « نور حسين » من
شيوخ الطريقة الاحمدية ، التي أسسها السيد « احمد بن إدريس الاسيري »
فهو محط الرحال ، في مقاطعة « أروسي »

وقد ترجمت حياة هذا الشيخ الجليل ومناقبه ، في ثلاث مجلدات ،
وطبعت باللغة العربية في القاهرة سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) ووزعت على
المسلمين ، القاطنين ، في جنوب الحبشة ، وغربها

علاقة مسلمي الحبشة بالممالك الإسلامية

لقد استطاع المسلمون في الحبشة ، أن يجعلوا بينهم ، وبين الممالك الإسلامية المجاورة لهم ، روابط ثقافية ، واقتصادية ، متينة ، كمصر التي فيها « الجامع الأزهر » المعمور . وقد أمه فيما مضى طلاب كثيرون ، لاخذ العلم ، ولهم في الأزهر الشريف « رواق » شهير يسمى « رواق الجبرتية » نبغ منه كثير من جهابذة العلماء ، كالشيخ الامام الزيلعي نخر الدين عثمان ابن علي شارح الكنز المتوفى سنة ٧٤٣ هـ (١٣٤٢ م) ، والمحدث الكبير الزيلعي جمال الدين عبدالله بن يوسف بن محمد المتوفى سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م) ، والعارف بالله الشيخ علي الجبرتي الذي كان يعتقد السطان قايتباي ، وقد توفي سنة ٨٩٩ هـ (١٤٩٣ م) كانص عليه ابن اياس ، والشيخ حسن بن برهان الدين الجبرتي وولده المؤرخ الشهير الشيخ عبد الرحمن الجبرتي صاحب التاريخ المشهور المسمى « عجائب الآثار . في التراجم والاختبار » والشيخ احمد بن محمد الجبرتي والذي كان شيخاً علي الرواق في أوائل القرن الرابع عشر الهجري

ومما يستحق الذكر هنا أنه لما توفي الشيخ « بشرى » شيخ هذا الرواق وهو من اقليم « تغرى » وقع نزاع بين الطلاب ، لأن أهالي « تغرى » ، وهم الجبرتية ، كانوا أكثرية فيه ، وطلبوا من مشيخة الأزهر الشريف أن يعين الشيخ من بينهم ، لزعمة أن الرواق ، إنما هو وقف عليهم ، وأن ليس لمسلمي أقاليم « أحره » و « شوى » و « هرر » نصيب في تعيين المشايخ

ولما اشتد بينهم النزاع ، رأت المشيخة أن الرواق ، وإن كان يسمى « رواق الجبرية » للتغليب ، إلا أنه في الحقيقة رواق لجميع مسلمي الحبشة .
وعلى هذا الرأي تعين الشيخ « احمد محمد » من « مصوع » شيخاً للرواق المذكور .

البعثة الأزهرية للحبشة

وفي سنة ١٩٣٤ م ، أرسلت مشيخة الأزهر الشريف بعثة اسلامية ، دينية إلى الحبشة لترشد الأهالي المسلمين إلى الدين القويم ، وهي مؤلفة من صاحبي الفضيلة « الشيخ محمود النشوى » و « الشيخ يوسف على يوسف »
وقد استبشر مسلمو الحبشة بهذه البعثة المباركة ، وقد ورد منها للمشيخة تقرير طريف ، عن وصف مهمتها . وهذا نصه ، نقلا عن كتاب « المسألة الحبشية » .

« لما كان الجامع الأزهر الشريف ، مبعث الهداية الاسلامية ، ومشرق نورها ، في جميع أنحاء الدنيا ، أتجه إليه المسلمون من جميع الاقطار ، يطلبون منه في إلحاح أن يبعث إليهم من صفوة خريجه ، من يرشدهم ، ويفقههم ، في أمور دينهم ، وينشر بينهم الثقافة الاسلامية ، واللغة العربية .
وكان من بين البلدان التي تقدمت إليه بهذا المطلب « جنوبي أفريقيا » و « أمريكا » و « اليابان » وبلاد « الحبشة » .

وقد سارعت مشيخة الأزهر الجليلة إلى دعوة خريجي قسم التخصص ، واختبرتهم اختبارا عاما بعد أن ألفت لجنة عليا لهذا الغرض ، وكان من حسن حظنا أن ندبتنا مشيخة الأزهر للذهاب إلى بلاد الحبشة ، لنشر الثقافة الإسلامية فيها .

وقد سافرنا من « بورسعيد » في يوم ٣١ يناير سنة ١٩٣٥ وقد وصلنا إلى « اديس أبابا » عاصمة « أثيوبيا » يوم ٦ فبراير ، وكانت رحلتنا إليها جميلة ، وسارة ، وقد فرح المسلمون بقدمنا ، وأقبلوا علينا مرحبين ، مهنيين ، شاكرين ، لمصر ، وللجامع الأزهر ، فضله عليهم ، وتلبية طلبهم ، وقد وجدنا في العرب ، ومسلمي الحبشة أهلا بأهل ، وإخوانا باخوان .

ولا يفوتنا شكر رجال القنصلية المصرية ، وفي مقدمتهم حضرة القنصل الكريم ، فهم مافتنوا يساعدوننا بمعلوماتهم ، واختباراتهم .

وبعد أسبوع من وصولنا ، أعنى بعد أن خفت الزيارات ، وقلت وفود المرشحين ، بدأنا عملنا في مدرسة « نادي الاتفاق الإسلامي » واتخذنا من المسجد ميدانا لالقاء العظات التي رأينا أنها تنفع مسلمي هذه البلاد

أما المدرسة ، فإن العمل فيها شاق إلى أقصى حد ، نظراً لاختلاف أسنان الطلبة فيها ، وتباين بيئاتهم ، وتعدد لغاتهم ، ففيها أحباش ، وعرب يمنيون ، وحضرميون ، وهنود ، وأتراك ، وصومال . والطلبة الأحباش أنفسهم من مقاطعات مختلفة ، مما يجعل الدرس الواحد ، يعادل خمسة دروس ، في مصر ، على الأقل . ولسكننا في الوقت نفسه نجد سرورا في

العمل بها للتقدم الحسن الذي نشاهده في طلبتها . وقد أصبح سهلا عليهم ،
وخصوصا طلبة الفرق المتقدمة أن يفهموا العربية الصحيحة .

ونحن نقوم الآن بتدريس أهم المواد ، وأشقها ، كالتوحيد ، وفقه
الشافعي ، والتاريخ ، والاخلاق الدينية ، وتحفيظ القرآن الكريم ، بطريقة
تجعلهم يدركون المعنى الاجمالي لكتاب الله .

وقد وجدنا في استعداد أبناء المدرسة الفطرى ، وذكائهم الطبيعى ، خير
معوان لنا ، على أن نتقدم بالأولاد في هذه المدة الوجيزة التي قضيناها بينهم
في المقررات الموضوعه رغم أنها في حاجة إلى تهذيب . فهى بوجه عام فوق
مستوى الأولاد ، ونرجو في المستقبل أن نوفق لاقناع القائمين بإدارة
المدرسة بذلك ، حتى نعمل على تعديلها بما يناسب مدارك الطلبة ، وتحقيق
الأمل المنشود فى هؤلاء التلاميذ ، الذين لا شك فى أنهم ستتغير بهم حالة
مسلى الحبشة ، متى صاروا رجالا

وأما الوعظ ، فاننا نرى ان الحبشى مفطور على حب الدين ، واجلال
رجاله . والعقل الحبشى من أخصب العقول لتلقى العظات ، والانتفاع بها ،
فهم قوم قلوبهم طاهرة نقيه ، فحينما يلقى أحدنا العظة يترامى الناس ، وخصوصا
الأحباش ، على يديه ، وكتفيه ، بل رجليه ، لثما ، وتقبيلا .

ومما يدل على أن احترام الأحباش لرجال الدين عامة ، ان المسيحيين
منهم ، حينما يقابلوننا يحيوننا بالانحاء الشديد ، وبرفع قبعاتهم ، اجلالا ،
وتلك هى التحية الحبشية .

ونحن نرجو أن نصل بالمسلمين منهم إلى الاكتفاء بالتجايا التي يجيزها

« الاسلام » فحسب

وقد تخيرنا من موضوعات الوعظ ، « التعاليم » والحث عليه . وبما لاحظناه أنه يندر أن تجد مسلما لا يعلق التأمم ، والأحجية ، المتعددة ، الكثيرة ، على صدره . وهذا يدل على أنهم يعتقدون في الدجالين ، والمشعوذين ، ويقدمون اليهم نفسهم ، ونفيسهم ، على فقرهم وحاجتهم

وكذلك وعظناهم في «البغاء وضرورة الابتعاد عنه» وخاصة لما يترتب عليه من الأمراض الخبيثة ، المنتشرة فعلا بينهم ، والتي لا يهتمون بعلاجها . كما هيئناهم عن كثير مما يفعلونه ، في أعراسهم ، وما تتمهم ، والاسلام لا يجيزه . وأنه ليسرنا أن نجد نصائحنا ، وعظمتنا ، تنفذ إلى قلوبهم ، ويعملون بها وانا لجادون الآن في دراسة ، عادات البلاد ، وأحوالها الاجتماعية دراسة جديدة ، مع النظر فيها من الوجهة الاسلامية ، حتى تكون عظاتنا مبنية على أساس متين . ولا يفوتنا أن نذكر ان من طرق الوعظ ، والتعليم ، في هذه البلاد ، افتتاح المنازل ، والقاء دروس بها ، وافتاء من يحضر للاستفتاء بها . ونحن مجارة للعرف نستقبل الناس يوميا بعد أداء أعمالنا الأخرى

وقد عرض علينا كثير من الفتاوى ، فأجبنا بما كان موضع الثقة ، والقبول .

وبما تحسن الاشارة اليه أن الفتيا ، والقضاء في هذه البلاد ، على مذهب إمامنا الشافعي ، رضى الله عنه . وهو المذهب الذي يعتنقه معظم مسلمي

الحبشة ، والذي يقوم بالقضاء بينهم قاض واحد « باديس ابابا » وحكمه نافذ ، إلا إذا استؤنف أمام هيئة أخرى من العلماء ، وكثيراً ما قمنا نحن بمهمة النظر ، في القضايا المستأنفة ، وهو ما يستلزم منا مراجعة ، وبجثاً طويلين

وبما استفتينا فيه أخيراً ان شاباً تزوج بفتاة بكر ، وفي اليوم التالي لزواجه بها طلب استرداد المهر ، مدعياً أنه وجدها ثيباً ، فرفع والد الفتاة دعوى أمام القاضى ، طالباً حد المتهم حد القذف . . . وأشبه ذلك مما بعرض علينا كثير

وفي البلاد هيئات متعددة ، منها « نادى الاتفاق الاسلامى » و « الجمعية الوطنية » و « جمعية التعاون » وصلتنا بنادى « الاتفاق الاسلامى » وثيقة بحكم عملنا الرسمى وهو أهم هذه الهيئات ، وأغناها ، وأنفعها ، وأوسعها نفوذاً ونحن نرجو أن توجد فى المستقبل القريب فى هذه البلاد ، شبيبة حبشية ، مسلمة ، تقوم على أكتافها نهضة تتقدم بها هذه البلاد النبيلة « اه

وبمناسبة هذه البعثة نقول :

لو أن مشيخة الأزهر الموقرة ، تعد لهذه المأمورية المهمة طلاباً من الحبشة من « رواق الجبرتية » فتخصم بعنايتها ثم ترسلهم بعد ذلك الى بلادهم ، بمراتب قليلة ، فيكونوا رسل علم ، ودين ، من هذا المعهد العالمى ، وهم أدرى بلغة بلادهم وطبائع أهلها وتكون النتيجة أكثر فائدة لأن المسلمين متفرقون فى بلاد الحبشة المترامية الأطراف وفى حاجة الى عدد كبير من العلماء والمرشدين ، ولا يتأتى إيجاد العدد المطلوب إلا من أبناء الحبشة أنفسهم .

وكذلك تربط مسلمي الحبشة بالسودان المصري روابط القرابة ، والثقافة التي نشأت عن طريق « المتمة » و « الرصيرص » من المسلمين الذين هاجروا من الحبشة ، هربا من ظلم النجاشي « يوحنا » الذي كان يحملهم على الارتداد الى الكفر ، بعد الايمان .

أما ارتباطهم بمسلمي اليمن : فيرجع الى علاقات قديمة العهد ، نشأت عن تبادل التجارة ، ولقرب ما بين القطرين . وقد أدخل اليمانيون الى الحبشة زراعة البن ، وغيرها

أما علاقة مسلمي الحبشة بالحجاز ، فقد نشأت عن المجاورة ، والتجارة ، من جهة ، وعن الحج من جهة أخرى .

وقد كانت مكة تغص بالحجاج الاحباش ، فيما مضى . ولكن قل عددهم في هذه السنين ، لأسباب جملة

وقد كان عدد من حج منهم في سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٢ م) ٤٩ حاجاً ، وفي سنة ١٣٥٣ كان ٢٩ حاجاً فقط

ولا يبعد أن المعاهدات التي تمت بين الحبشة ، وحكومة الحجاز ، تسهل السبيل للمسلمين الاحباش ، فيكثر عدد الحجاج منهم ، في الأعوام المقبلة ، إذا لم تكن الأسباب المانعة من ذلك من نفس حكومة الحبشة

درجة الثقافة الدينية ، والعلمية ، عند مسلمي الحبشة

أن المسلمين في الحبشة ، في هذه الأيام ، ليسوا سواء في درجة الثقافة ، الدينية ، والعلمية ، وماذا ك الامن كثرة ما وقع عليهم من الأذى ، والضغط منذ القرون الماضية .

وقد كان منهم قبل ذلك العلماء الاعلام ، كالزيلعي العلامة فخر الدين عثمان بن علي ، شارح متن الكنز ، واسماعيل بن ابراهيم الجبرتي ، وعبدالله ابن يوسف الزيلعي وغيرهم ممن ذكرناهم من قبل ولكن أنى لهم التقدم في العلم ، والدين ، وسوط الظلم والاضطهاد مشرع فوق رؤسهم

وهذا صاحب « صبح الأعشى » يخبرنا عن شيء من أنواع ذلك الاضطهاد الواقع في زمانه ، فقد قال بعد ذكر « الممالك الاسلامية » مانصه : « وقد أتى « الحطى » ملك الحبشة النصارى ، على معظم هذه الممالك ، بعد الثمانمائة ، وخربها ، وقتل أهلها ، وحرق ما بها من المصاحف ، واكره الكثير منهم على الدخول في دين النصرانية ، ولم يبق من ملوكها سوى ابن مسيار المقابلة ببلاده لجزيرة « دهلك » تحت طاعة « الحطى » وله عليه اتاوة مقررة ، والسلطان « سعد الدين » صاحب « زيلع » ومأمعها ، وهو عاص عليه ، خارج عن طاعته ، بينهما حروب لا تنقطع .

وللسلطان « سعد الدين » في كثير من الأوقات النصره عليه ؛

والغلبة (١) . اه

وإذا علمت ان المسلمين في عاصمة الحبشة ، لم تسمح لهم الحكومة الحبشية ببناء مسجد ، لاقامة الشعائر الدينية ، ولا بإنشاء مقبرة ، لدفن موتاهم ، عرفت مبلغ ذلك الضغط ، على مسلمي الحبشة ، الضعاف ، من حكومة الأسد الخارج من سبط يهوذا

واليك مقاله صاحب الرحلة في الصفحة ١٤٣

« وعند الصباح ورد قبل كل الناس التجار الهنود المسلمون ، ومعهم صحف الورد ، والزهور ، والمياه المعطرة ، والمناديل ذات الروائح الطيبة وبينما كنا نشرب القهوة ، كنا نتجاذب أطراف الكلام ، فانتقل حديثنا إلى صلاة الجمعة ، وعلمنا منهم أنه لا يوجد في « اديس ابابا » مسجد . وان المسلمين يؤدون صلاة العيد في الفضاء —

وقد قيل لي أن المسيحيين في « اديس ابابا » من غير الأحباش ، مثل الكاثوليك ، والروم ، والأرمن أرادوا أن يبنوا كنائس خاصة بهم ، فعرضوا ذلك للحكومة الحبشية ، فأجابتهم بقولها : « انكم وايانا مسيحيون ، فيمكنكم أن تصلوا في كنائسنا ، فلا لزوم لبناء كنائس أخرى »

فلذلك لم يقدم المسلمون ، لإنشاء جامع ، خوفاً من ان تمنعهم الحكومة ، كما منعت الطوائف الأخرى .

وقد علمت منهم أيضا ، ان المسلمين الذين يبلغ عددهم زهاء الفين ، في « اديس ابابا » ليس لهم مقبرة خاصة بهم ، بل هم يدفنون موتاهم في منازلهم ، وحدائقهم . اهـ

ثم أتدرى أيها القارئ المحترم ، ماذا تم بعد ذلك ؟

ان صادق باشا بسأل الامبراطور « منليك » أن يأذن للمسلمين ،
ببناء جامع ، ومقبرة ، فأذن له ، وفرح المسلمون بذلك ، واقترح عليهم أن
يسمى الجامع « حميدية » تيمنا باسم السلطان « عبد الحميد » الذى أوفده
الى الحبشة .

وبعد سفر الباشا ، نكث « النجاشى » عهده ، وبقيت « أديس أبابا »
بدون جامع ، حتى نقلت إلينا الجرائد فى هذه الأيام ، أن الامبراطور
« هيلاسلاسى » سمح للمسلمين ببناء جامع ، فى عاصمة بلاده
« أديس أبابا »

وبما أن النجاشى « منليك » سمح ببناء هذا الجامع فى سنة ١٣٢٢ هـ
(١٩٠٤ م) اكراما لرغبة ضيفه ، مندوب سلطان « تركيا » فيكون
أمر هذا الجامع أهمل مدة ٣٣ سنة ، حتى وافق النجاشى « هيلاسلاسى » على
هذه المكرمة

فهل عين رأت ، أو أذن سمعت بأفكه من هذه المكرمة ؟

يا لها منحة عظيمة ، من دولة شرقية ، عريقة ، فى القدم ، لرعاياها المسلمين
الذين يماثلونها ، فى العدد ، ويجاورونها منذ ١٣ قرنا ، وضيوفها الذين هم
روح الاقتصاد ؛ ويدهم تجارة البلاد

كأن رجال هذه المملكة ؛ لم يبلغهم أن مساجد المسلمين شيدت فى أكثر
عواصم أوروبا كالندن ، وباريس

وعلى كل حال فنحن نشكر لجلالة الامبراطور « هيلاسلاسى » معروفه

الكبير ، وتتمنى أن لا يحول بين أمره ، ببناء الجامع ، وبين تنفيذ هذا الأمر مانع جديد

هذا : ولنا آمال عظيمة ، نعلقها على همة حضرات أعضاء البعثة الأزهرية المحترمين ، راجين بأن تكون بعثتهم فاتحة نهضة ، علمية دينية اسلامية في الحبشة ، يبقى لها الأثر الصالح ؛ ما بقيت الأيام

حالة مسلمى الحبشة بالنسبة لشعبها المسيحي

الشعب المسيحي في الحبشة ، يعيد لنا ذكرى الشعوب القديمة ، التي كان كل شعب منها يظن أنه هو وحده ، من سلالة الأبرار ، وان كل الشعوب الأخرى ، أخط منه في الانسانية ، ودونه في الحقوق

لذلك — فهو ، يعامل مواطنيه المسلمين ، على هذه القاعدة البائدة

وقد علمت فيما تقدم أن مدينة « أديس أبابا » من عهد نشأتها ، الى الآن ، لم يسمح فيها للمسلمين باقامة مسجد ، ولا مقبرة اسلامية . وان المسلم لا يستطيع أن يظهر أمام الرؤس الاحباش ؛ بمظهر الثراء ، والنعمة ، حتى لا يعد عاصياً ؛ وقليل الطاعة لساته

الشريطة الزرقاء

وقد حدثنا صاحب الرحلة الحبشية في الصفحة ١٦٠ بأن المسيحي الحبشى ، لا يأكل مع المسلم ، على مائدة واحدة ، ويميز نفسه بشريطة زرقاء حول عنقه . ويعلق فيها « صليباً » صغيراً . من الفضة : أو غيرها ، من المعادن ، وتسمى عندهم « ماتب » اهـ

وإذا أردت أن تعرف قيمة هذه الشريطة ، فاسمع ما قاله عنها أحد الرواد الفرنسيين . وهو ما يأتي :

« ان أفضل جواز للسفر يعطاه السائح الغريب . في الحبشة . هو شريطة من الحرير الأزرق . يلبسها في عنقه . فوق ملابسه ، وبها يعرفون أنه من أبناء ملكة « سبأ » ويبالغون في الحفاوة به ويفتحون في وجهه جميع الأبواب . ويدرأون عنه جميع المخاطر .

شهادة أجنبي خال من الغرض

وقد عثرنا في كتاب طبع في « روما » سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) عنوانه : « الدولة الحبشية ، وكنيستها » فنقلنا منه النبذة الآتية ، وهي :

« ان مزاوله المهام العسكرية ، هي وقف على الاحباش المسيحيين ، ويحظر أشد الحظر على غيرهم ، القيام بها . بدعوى انهم أحط عنصراً ودماً منهم »

المسيحي ، والمسلم ، أمام القضاء

ثم قال المؤلف : «ويكفي للدلالة على ذلك ، ان نأتى ببرهانين ، واضحين ،
فاذا ماذهب المسلم ، والمسيحي ، ليتقاضيا ، أمام قاض نصراني ، قل أن يعامل
المسلم ، في تلك الظروف ، بما يعامل به خصمه المسيحي ، أو بكلمة أصح ،
ندر أن يعامل المسلم ، بما يقتضيه العدل ، والانصاف ، وماذاك إلا لانه
قد رسخ في أذهان الجميع ، الاعتقاد ، بأن المسلم هو أبعد عن تلك الجبلة
التي تبيح له أن يكون هو وخصمه على قدم المساواة أمام القانون

أما ذلك القاضى ، الذى بيده الحل ، والربط ، فلا يدل مظهره في تلك
القضية ، الاعلى اقتناعه ، بوجود ادانة الرجل المسلم ، قبل استماع مايقوله ،
دفاعا عن نفسه .

ولائم الرؤساء ، والحكام ، في المواسم

ثم قال : « وهناك برهان آخر ، يتجلى فيه التعصب الطائفي الممقوت ،
باجلى مظاهره ، وهو أنه : في الاعياد الكبيرة ، السنوية ، قد جرت العادة ،
أن يقيم حاكم كل اقليم ، الولايم الفخمة ، التي تذبح فيها العجول السهينة ،
وتقدم لحومها للأهالى ، والجنود ، انما يختص بها المسيحيون فقط . فيؤثرهم
الحاكم ، ويختصهم بجزيل العطاء ، وجيليل النعم .

أما نصيب المسلمين من هذا كله ، فهو الضن بالخير ، والامساك عن المعروف ، بكل معانيهما - الى أن قال : « ومجمل القول أن مسلمي الحبشة عموما ، وبنوع خاص ، من كان منهم يقيم في أوساط مسيحية ، هم في درجة من الاضطهاد ، والظلم ، والاستبداد ، بحيث لم يبق لهم إلا النذر القليل ، من الحقوق المدنية . وخصوصا ، ما كان منها متعلقا بامتلاك الأراضى ، أو وظائف الحكومة » اهـ

هذه شهادة أجنبي نسجلها عن حال المسلمين ، الذين يعيشون في الاقاليم الحبشية ، البخته ، والذين هم فيها اقلية وطنية

أما في المقاطعات الواقعة على أطراف الحبشة ، والآهله بمسلى «أوجادين» الصوماليين ، و «دناكل اوسه» فان حال المسلمين فيها ، تكاد تكون اسوأ ، واتعس بكثير مما تقدم .

تحصيل الضرائب من المسلمين

نعم ان هؤلاء المسلمين ، بعيدون عن الاحتكاك بالحكام المسيحيين ، وعن السلطات المركزية .

ولكن ينالهم العسف بشكله المريع ، عندما تصول الحكومة في تلك المقاطعات ، فتطلق الاعنة ، لجنودها ، يعيشون بمرافق سكانها ، المسلمين ، المسالمين ، ويصبون عليهم أنواع الجور ، في تحصيل الضرائب ، وفرض المغارم الشاذة

المالك التي اغتصبها الحبشة من المسلمين

أما تلك المقاطعات التي أخذتها الحبشة ، من المسلمين ، فهي تحت رحم الجنود الاحباش : الموكول اليهم أمر حراستها . وهي ذات نظام جائر يسمى « الجيار » ومعناه تحصيل الضرائب المسماة « جبر » فالأسر التي تقطن المقاطعات المشار إليها ، قد دُونت اسمائها في سجلات خاصة ، ووزعت على الجنود الاحباش ، لتقوم بخدمتهم هذه الأسر المنكودة الحظ ، ملزمة بأن تقوم بكل ما يحتاج اليه هؤلاء الجنود ، في حياتهم ، هم ومن يعولون . أي أنها تقوم بحرث الأراضى وزرعها ، وتربية المواشى ، لحساب أسيادها الجنود . ولا يجوز لها أن تزاول من الأعمال الا ما يوافق رغبتهم ، كما أنه محظور قطعيا على افراد هذه الأسر البائسة ، أن يفروا من الأماكن التي يعيشون فيها ، أو أن يتركوا خدمة من كلفوا بخدمته من الجنود . وإذا فر أحدهم ، ولم يعثر عليه . وجب على أهله أن يأتوا بمن يقوم مقامه ، في الخدمة الملزم بها .

الجيش الخاصة ، ضمن الجيش العام

جاء في جريدة « الاهرام » الغراء في العدد الصادر في يوم الاثنين ٨ شعبان سنة ١٣٥٤ هـ (٤ نوفمبر سنة ١٩٣٥) بهذا العنوان تلغراف من مراسلها الخاص في « اديس ابابا » هذا نصه :

« وهناك ظاهرة أخرى مدهشة ، وهي الجيوش الخاصة ، ضمن الجيش العام . مثال ذلك - بين الخمسة والعشرين ألف مقاتل من رجال القبائل العسكرية ، خارج « اديس ابابا » مئات من زعماء الاقطاعيات ، ولكل منهم جيشه الخاص ، وأتباعه ، وعبيده »

هذا التلغراف يبين لنا حقيقة الحال ، وهي أن الأسر الموزعة هي وأراضيها على الجنود تقوم معهم عند نشوب القتال بصفاتها جنود خاصة ، لحماية سيدها - مثال ذلك - مسلمو « لمو » يلتحقون بفرقة تسمى « الورواري » أى رماة الأسهم . ومسلمو « جالا اروسى » يلتحقون بحملة البنادق ، وهم « الاي طابنجه اياج » وقس على ذلك

ومما تقدم نستخلص أن سكان الأقاليم ، التي انتزعتها الحبشة ، من المسلمين والذين يبلغ عددهم أكثر من نصف السكان في هذه الايام . هم في حالة يرثى لها من الظلم ، تعيد لنا ذكرى حالة عبيد السخرة في القرون الوسطى ، إن لم تكن أسوأ منها .

تقسيم سكان الحبشة في نظر رحالة سويسرى

لقد قسم سكان الحبشة الرحالة السويسرى « الدكتور أجورج مونتندن Gorge Montandon » في بحثه القيم حول النخاسة في الحبشة ، الذى قدمه إلى جامعة الأمم عام ١٣٤٢ (١٩٢٣ م) فقد قال فى الصفحة ١٤ منه ما يأتى تعريبه :

« ان موظفي الحكومة الكسالي ، وغيرهم ، من الجنود ، هم عالة على الصوماليين ، والدناكل ، وأهل « هرر » وخصوصا على أهالي « جالا » فانهم يستخدمون العبيد المقيمين في « كفا » و « جما » و « ميجي » وهم من الفصيلة الزنجية » .

ثم قسم في الصفحة ٢٨ من بحثه المذكور سكان الحبشة إلى ٤ أقسام كما يأتي :

أولا — الأحرار (وهم الأحباش ، والامحريون)

ثانيا — أهل الغرامة (وهم الدناكل ، والصوماليون)

ثالثا — المقهورين ، أو خدام السخرة ، وهم « الجالا » والشعوب الأخرى

رابعا — العبيد ، وهم زنوج سانغلا

فهل رأيت أو سمعت بأعجب من هذا التقسيم ، العجيب

نقص السكان في المدن الإسلامية

من البديهي ان البلاد التي تكون غاصة بسكانها ، بسبب الرخاء ، والدعة ، يتناقص عدد أهلها ، إذا دهموا بأي نوع . من أنواع الجور .

وقد استطاع أحد الأطباء الغربيين أن يزور بلاد الحبشة ، ويقيم في غربها مدة ثلاث سنوات .

هذا الرجل تمكن في سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) من كتابة نبذة مدهشة ،

عن أحوال تلك البلاد ، فبعد أن تكلم بأسباب عن ثروتها الطبيعية ، وخيرها العميم قال : « ان بلاداً كالحبشة . أفاضت عليها الطبيعة من خيراتها الغذائية الوفيرة . كان يجب أن تكون أهلة بالسكان ، ورافلة في أثواب الغنى والرخاء ، اذ من المعلوم أن كثرة السكان دليل على جودة المكان ، إلا أننا مع مزيد الأسف ، نجد كثيراً من المناطق المشهورة بجودة جوها ووفرة خيرها ، وغنائها ، تكاد تكون ، مقفرة من آثار العمران .

أما الأقاليم الوحيد الذي كان يتباهى بعدد سكانه ، فهو إقليم « جمأباجفار » لكنه سرعان ما امتدت إليه أيدي الظالمين ، وعصابات الغزو ، من أهالي « احرا » . وسوف لا ترفع أيديها عنه ، حتى يصيبه من الدمار ، ما أصاب سائر الأقاليم ، التي أمست أثاراً بعد عين .

ثم قال : اجل . إذا ألقينا نظره إلى الفترة التي تبتدىء بدخول المبشر « مساوى » إلى تلك الأقاليم ، ونشره تعاليم « الانجيل » فيها وارتداد الرحالة « بوتيجو Bottego » لتلك المناطق لتأكد لدينا صحة مسألة نقص السكان ، في تلك الأقاليم .

ثم قال « وهناك في الحبشة اقليم واسع الارحاء تكسوه الخضرة الدائمة ، لما هو عليه من خصب التربة ، وسرعة النماء . فلا تجد فيه بقعة ، الا وهى أهلة بالسكان ، ولقد كان سكان المنطقة الواقعة بين بحيرة الملكة « مرغريتا » ونهر « ادمو بوتاغو » فى الكثرة ، بحيث لم يكن من السهل على بعثة « بوتاغو » أن تجتاز تلك المنطقة ، المكتظة بالمساكن المنتشرة فيها .

هذا وقد أحصى « مسايا » Messiya « سكان اقليم » كفا « وحده فوجدتها لا تقل عن « المليون » من الأنفس ، بينما لا يزيد عدد سكانه ، في أيامنا ، الحاضرة ، عن ٥٠ ألفا

وعلى هذه النسبة نقيس مقاطعات « قيرة » و « غما » و « غوما » و « اناريا » وغيرها ، التي كانت آهلة ، بالعدد الكثير من السكان ٠ اه

ومحال ان يعزى هذا النقص العظيم ، في السكان ، الى عوامل أخرى غير الحروب ، والغزوات التي كان يثيرها ملوك الحبشة ، على المسلمين « فهم كالذين قال الله فيهم » رَبُّونَ بُيُوتِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ ، وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ^(١) لأنهم لو تركوا هذه البلاد ، الممتلئة من كنوز الخير ، لأهلها المسلمين ، لبقيت عامرة ، تفيض عليهم بالخيرات ، والبركات ، ولكنهم لشدة تعصبهم ، لم يحل لهم إلا خرابها .

ويمكننا ان نقول : ان هذه البلاد ظلت عامرة ، الى ان بدأ « منليك » يشن الغارة عليها ، منذ أربعين سنة ، بجنوده يقتلون من يعارضهم ، ويغنمون ما يجدونه ، من خير ، ويسوقون النساء ، والرجال ، والأطفال ، عبيداً وقد قلده أكثر الرؤس الأحباش الذين كانوا يأتون حكاما ، على تلك المقاطعات الجنوبية ، في شن الغارة عليها ، وسلب أهلها ، يذيقونهم أمر العذاب ، ويكفونهم فوق ما يطيقون ، من ابتزاز الأموال ، حتى لم يبق من هؤلاء السكان ، التعساء ، إلا جماعات ، عمها البؤس بعد أن نجت من الغزاة

الظالمين ، أهالى «شوى» واتخذت مساكنها ، فى كهوف الجبال ، والغابات
تلجأ اليها ، متى شعرت بأذى خطر .

وقد انتهى الحال ، فى تلك المقاطعات ، الى القضاء على الحياة الزراعية
تماما ، فتقاص ظلمها ، عن تلك الأقاليم الخصبة ، وتحولت أرضها ، الى
احراج ، وغابات

شهادة حبشى وثنى

ومما هو جدير بالذكر ، مقاله كاتب حبشى ، يدعى « ج . ف . افيرك
Afework » فى كتابه المسمى ، دليل السائح فى الحبشة ، وضعه باللغة الفرنسية
وطبعه سنة ١٩٠٨ فى « روما » وجعله على طريقة السؤال ، والجواب .
ونحن ننقل بعض شذرات ، تتعلق بمعاملة الأحباش ، للفلاحين المسيحيين ،
ذكرها المؤلف ، ليدل بها على سوء المعاملة ؛ التى يعامل بها قومه الوثنيون ،
قال :

س — قل لى أخيرا ، هل الرعايا « جبار » فى الحبشة هم حقيقة عبيد
« باريا » ؟

ح — أن حالة هؤلاء الاقوام ؛ لاسوأ بكثير ؛ من حالة العبيد ؛ لأن هؤلاء
يشتغلون لحساب أسيادهم ؛ الذين يعطفون عليهم ؛ ويقدمون لهم الطعام
والكسوة ؛ بينما الرعايا « جبار » محرمون من هذا كله ؛ فهم يعملون ؛
ليلا ونهاراً ؛ لحساب أسيادهم ؛ ويقدمون لهم الغذاء ؛ من عرق جباههم

سه — كيف يعامل الحكام المسيحيون الأحباش ، سكان اقاليم « غاللا »
ح — إذا كان الرعايا من المسيحيين ، يعاملون تلك المعاملة ، القاسية ،
البربرية ، وهم اخوان الأحباش بالدين ، فكيف تكون معاملتهم
للوثنين التعيسين ؟ اه

نقول : أن حالة « غاللا » المسلمين ، لا تمتاز بشيء عن حالة وثني « غاللا »
التي ذكرها الكاتب المذكور .

ويظهر لنا ، من كل ما قدمناه ، ان الحقد على المسلمين ، لا يزال كامناً ،
في صدور الأحباش ، في هذه الأيام ، كما كان في الأيام السالفة ، حتى أنهم
لا يأكلون من ذبيحة المسلم ، ويجتهدون في أن تكون حالتهم ، وهيئاتهم ،
ممتازة عن المسلمين . كما مر لنا في ذكر « الشريطة الزرقاء »

ومن أسباب التباعد ، والجفاء بين المسيحيين . والمسلمين ، أن المسيحيين
يحرصون الحرص كله على أن يكون في أعمالهم ، وحركاتهم ما يميزهم ،
عن المسلمين ، كأن يعلقون مثلاً في أعناقهم « عقداً » خاصاً . يسمى في
لغتهم « الأبحرية . ماتب »

نعم ان نفور الحبشى المسيحي ، من معاشره الحبشى المسلم ، وابتعاده عنه
يعد خيراً عظيماً للمسلمين ، لو أنه كان خالياً من الظلم ، والتعسف ، لأن
حالة الأحباش المسيحيين . ومعيشتهم مصحوبة بشيء من القذارة .
والخطرات الصحية .

فقد ذكر صاحب « الرحلة الحبشية » في الصفحة ١٨٢ عبارة تدل على ذلك . نقلها بحروفها . قال :

« الاحباش المسيحيون — ما عدا أكابرهم — لا يغسلون أجسامهم ولا ملابسهم ، فلذلك . لا يصعب على الانسان ، بعد مخالطتهم ، برهة قليلة أن يفرق بين المسيحي ، والمسلم ، لأن المسلم ، يجدد وضوءه ، كل يوم ، جملة مرات . فتظهر آثار ذلك عليه .

والأمراض المعدية القتالة . مثل « الزهري » وغيره . منتشرة ، بين عوام « الأحرارين » المسيحيين . لكثرة اختلاط النساء بالرجال . وأما المسلمون فقلما تنشر فيهم . هذه الأمراض « اه

الجمعيات الخيرية الاسلامية ، بالحبشة

أسس المسلمون في الحبشة ، كثيراً من الجمعيات الخيرية « الاسلامية » لتعليم أبناء المسلمين ، و تثقيفهم ، ومع أن الحكومة ، لا تمدّها بأى عناية ، أو إعانة ، فإنها جاءت بأعمال عظيمة ، وهى السبب فى إرسال « البعثة الأزهرية » الى الحبشة ، كنادى الاتفاق الاسلامى ، والجمعية الوطنية ، وجمعية التعاون ، وجمعية الشبان المسلمين .

وقد كتب رئيسها الى جريدة « روز اليوسف » الغراء ثناء على أعضاء البعثة الأزهرية ، درج فى عددها المؤرخ ١٢١ اكتوبر سنة ١٩٣٥ . و ينتظر أن تكون هذه الجمعيات ، المؤلفة ، من خيار المسلمين ، فى الحبشة ، سبباً فى إعادة أولئك المخلصين فى الآتى إن شاء الله تعالى

مرتبات قضاة الاسلام ، وائمة المساجد ، في الحبشة

أما مرتبات خدمة المساجد ، وأئمتها ، في الحبشة ، وكذلك القضاة ، فيقوم بها الأهلون ، من أموالهم الخاصة : بدون أن تمدهم الحكومة بشيء ما .

المسلمون في المناطق المتاخمة للحبشة

يليق بنا ، وقد انتهينا من ذكر حال المسلمين ، في المملكة الحبشية ، ان نذكر بصفة عامة ، حال المسلمين المقيمين ، في المناطق المتاخمة للحبشة ، وفاء للموضوع ، فنقول :

(١) الاريترة

ان المسلمين في شمال الاريترة الايطالية ، وشرقيها ، يؤلفون نصف سكان تلك المنطقة ، على وجه التقريب

وقد دل إحصاء سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) على أن عدد المسلمين هناك يبلغ ٣٠٠،٠٠٠ نسمة ، من مجموع السكان البالغ عددهم ٦١٧،٠٠٠ نفس وهؤلاء المسلمون كلهم سنيون ، بين أحناف ، وشافعية ، ومالكية ولهم محاكم شرعية ، وعلى رأسها القضاة الشرعيون ، يفصلون فيما يعرض عليهم

من القضايا الدينية والأحوال الشخصية . كما أن لهم الحق أيضا في الفصل في القضايا « المدنية » حتى أن بعضهم تنسم فيها المناصب العالية

وكذلك نجد في « تسناني » مركزا للطريقة المرغنية ، التي هي فرع من الطريقة المرغنية السودانية ، المصرية .

ولا يخفى أن لهذه الطريقة ، وغيرها ، القدر المعلى في جمع كلمة المسلمين ، وتخليقهم بالفضائل النفيسة

وإذا أمعنا النظر في الأمر ، وجدنا أن المسلمين في هذه المستعمرة الإيطالية ، قد أحرزوا حظاً وافراً ، من التقدم ، عما كانوا عليه في الجيل الماضي .

وقد قارن المستشرق الألماني ، المشهور ، « لتمان » في مقال له ، نشرته مجلة « در اسلام » Der Islam عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) قابل فيه بين حالة المسلمين ، وتعدادهم سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م) بموجب احصاء « مونزنجر » Munzinger وحالتهم وعددهم في سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) بموجب الاحصاء الإيطالي . فثبت لديه من هذه المقارنة ، أن هناك زيادة محسوسة ، في عددهم ، وتقدما عظيما ، في شؤونهم . الاجتماعية ، كل هذا كان في تلك الفترة القصيرة

فاذا قيل إن هذا الفرق لم ينتج من كثرة المواليد ، لقرب ما بين التعدادين . نقول : ان الأمن ، والدعة ، من أكبر دواعي اقبال الناس ،

على سكنى البلاد التي يوجدان فيها ، كما قال شاعرنا « المتنبى »

« وكل مكان ينبت العز طيب »

وهناك نجد أيضا عدة قبائل تتكلم اللغة الأمازيغية ، مثل « الماديا » و

« منسا » وبعض من قبيلة « بوغس » قد اعتنقت الاسلام ، بعد ان كانت

على النصرانية

وما ذاك الا لاحتلال المصريين ، للسودان ، ورسوخ أقدامهم فيه ،

حيث قامت مدينة « كسلا » سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠ م) ثم احتلالهم لمدينة

« مصوع » واقامتهم هناك حوالي عشرين سنة ، أى من سنة ١٢٨١ الى

سنة ١٣٠١ هـ (١٨٦٤ - ١٨٨٤ م)

ولانزال نرى الى الآن حركة متواصلة ، بين أهالى « باريا » و « كنامة »

الوثنيين ، للدخول فى الاسلام أفواجا

وقد كتب المستر « يوناى يارسون » yonas ywarson السويدي

مقالا قيما ، فى مجلة « العالم الاسلامى » التى تصدر فى « نيويورك » وذلك

عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) نقتطف منه ما يأتى :

« ما كادت بلاد « الاريتره » تقع فى يدي الطليان ، وتنفصل عن

أجزاء الحبشة ، حتى تنفس سكانها المسلمون ، الصعداء ، وتمتعوا بكامل

حريتهم ، الدينية ، وهم يؤلفون أكثر من نصف مجموع السكان ، ومحاطون

بعناية خاصة ، من قبل الحكومة الايطالية ، هناك ، وتكرم رجال الدين ،
وتقدم لهم الاعانات ، لبناء المساجد ، واقامة المدارس ، والملاجىء ، وهم
والمسيحيون ، فى الحقوق الاجتماعية ، على أتم المساواة « اه

وفى صيف السنة الماضية زار أحد المسلمين ، البارزين ، مدينتى
« اسمره » و « مصوع » ونشر فى مجلة « الفتح » التى تصدر فى القاهرة ، فى
عددتها الصادر بتاريخ ١٠ ذى القعدة سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٨ م) مقالا مهما ،
أظهر فيه إعجابه ، بما شاهدته ، فى تلك الاصقاع ، من نظام ، وحسن إدارة
وملاؤه من الشناء على الحكومة ، لما تبذله من العناية ، وحسن الكياسة ،
مع السكان المسلمين ، الذين يتمتعون ، بكامل حريتهم « الدينية »
« ثانيا » يعيش فى السودان « المصرى الأنكليزى » عدد عظيم جدا من
مسلمى تلك المناطق ، وخصوصا فى الناحية الغربية من الحبشة .

وقد أشرنا فيما سبق إلى ما كان للسودان المصرى ، من التأثير ، فى الدعاية
الاسلامية ، ونشر الاسلام ، حتى بين الأحباش أنفسهم
ولا يخفى أن مجموع سكان السودان يبلغ ستة ملايين ، بينهم ما يزيد
عن النصف « مسلمون . سنيون » بين مالكية ، وشافعية .

وهناك طرائق الصوفية ، المتعددة ، من « تيجانية » و « قادرية » و
« سمانية » و « خلوتية » و « شاذلية » و « مرغنية » وهى تؤلف جيشا
جرارا ، من أهل الصلاح ، والتقوى ، لمحاربة الجهل ، والاجرام .
وهناك العلماء الأعلام ، والأدباء ، والشعراء .

وللمسلمين « المحاكم الشرعية » المنتشرة ، في جميع أنحاء السودان وقاضي قضاتهم يعين من مصر ، ويقضى في شؤونهم الدينية ، وأحوالهم الشخصية باوسع معاني العدل .

والمدارس الاسلامية ، مزدحمة بالطلاب ، ومنهم في « الجامع الأزهر الشريف » كثيرون يقصدونه ، لاتمام الدروس الدينية ، العالية

وفي القلابات ، وهو اقليم قديم ، من « متمه » على حدود الحبشة نجد اسراً عديدة ، من أصل حبشى ، هاجرت من وطنها هرباً من الاضطهادات التي أثارها « النجاشيان ، تاودروس ، ويوحانس »

« ثالثاً » وفي بلاد « كنيا » المتاخمة للحبشة الغربية ، لمسافة بعيدة ، يعيش أكثر من مليون مسلم سنى أى نصف مجموع السكان وهم على مذهب الامام محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه .

وأهم مراكز المسلمين فيها مدينة « ممبازا » التي نالت شهرة واسعة ، في تلك الانحاء ، لأنها كانت من أهم العوامل في نشر الاسلام وبثه في كل « افريقيا الشرقية » وكانت ذات صلة ، متينة ، مع سكان جنوبي « جزيرة العرب » و « الخليج الفارسى » و « الهند »

« رابعاً » المسلمون في « الصومال الايطالى » يؤلفون الأكتريية الساحقة من سكانه ؛ وبلغ عددهم في احصاء سنة ١٩٣١ م ١٠٠٩١٥٧ نفساً ، وكلهم سنيون ، يتعبدون على مذهب « الامام الشافعى » ولهم محكمة شرعية ، يرأسها قضاة عادلون . والطرق الصوفية فيها منتشرة ، ويسمونها « الجماعة »

أهمها « القادرية » و « الأحمدية » و « الصالحية » و « الرافعية » ولهذه الطرق ، اليد الطولى فى نشر الإسلام ، وتحسين الشؤون الاجتماعية ، بين الشعب

« خامسا » ونجد الصـومال الانكليزى ، الذى استولت عليه « بريطانيا العظمى » سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٤ م) ان فيه من المسلمين ٣٠٠٠٠٠٠ ألف نسمة ، وكلهم سنيون ، يتعبدون أيضا على مذهب « ابن دريس الشافعى » وهم متمتعون باقامة الشعائر الدينية ، ولهم محاكم شرعية ، وقضاة عادلون

والطريقتان « القادرية » و « الخلوئية » منتشرتان بينهم ، وعلى جانب عظيم ، من الازدهار ، وحقوقهم مع الطوائف الأخرى ، قائمة على المساواة والحكومة الانكليزية . تحترم شعائرهم الدينية كما قدمنا وتساعدهم على نشر العلم ، والدين ، لأنها وجدت فى تقدمهم العلمى ، واطلاق حريتهم الدينية ، خير معاون لها على رفاهية البلاد ، ونشر أجنحة الأمان .

ولا ننس أن مدينة « زيلع » كانت من أهم المراكز الحربية للمسلمين ضد طغیان الحبشة

وكل منا يذكر الثورة الشديدة التى دار رحاها فى تلك الاصقاع من سنة ١٣١٧ - ١٣٣٨ سنة هـ (١٨٩٩ - ١٩٢٠ م) وكان القائم بزعامتها محمد بن عبد الله حسان المهدي ، المنحدر من احدى القبائل الصومالية فى « أوجادين » الحبشية

« سادسا » وفى تلك الأرض المحيطة بمدينة « جيبوتى » التى هى الصومال

الفرنسى نجد ٢٠٠١٠٠ نفس من المسلمين ، وكلهم سنيون ، وعلى مذهب الامام الشافعي .

والطريقة القادرية هناك ، تفوق غيرها من الطرق الصوفية ، ولها نفوذ يذكر ، في نفس أبناء الشعب « الصومالي » الذين تربطهم باليمن ، ومسلمي سلطنة « أوسه » و « جلاولو » روابط الصداقة المتينة والعلاقات الحسنة ، ومن مدينة « جيبوتي » يمتد خط السكة الحديد ، إلى داخل الحبشة حتى يصل الى عاصمتها « اديس ابابا » مارا في « ديرة داوه »

هذه هي البلاد المجاورة للحبشة ، والتي تحيط بها من جميع نواحيها . ويقيم فيها المسلمون تحت نفوذ « الانكليز ، والفرنساوين ، والاطالين » بلغت فيها الطوائف الاسلامية ، منتهى حرقتها الدينية ، وأصبحت تعيش مع باقى السكان ، على أتم قواعد العدل ، والمساواة .

ولاء المسلمين ، لحكومة الحبشة ، واخلاصهم

ليس في العالم طائفة ، تتناسى مايقع عليها ، من الجور ، وتغض الطرف ، عن الاساءة ، مثل مسلمي الحبشة ، فانهم مع ما يلاقونه ، من عسف الحكام ، الاحباش ، وجور الاحكام ، يقفون الى جانب الحكومة ، عند شدتها ، ناسين ما فعلته معهم ، وما زالت تفعله .

والدليل على ذلك ماورد في جريدة « المقطم » الغراء ، في العدد الصادر في ٨ نوفمبر سنة ١٩٣٥ من أن ١٢٠ زعيما من زعماء المسلمين ، رفعوا

للإمبراطور « هيلاسيلاسى » عريضة ، يعربون فيها . عن ولائهم له ، قاطعين على أنفسهم عهداً ، بأن ينصروا القضية الحبشية ، ويدافعوا عنها بحياتهم ، وأموالهم .

وجاء في مجلة « المصور » في ملحق الحرب الصادر في ١٧ نوفمبر سنة ١٩٣٥ ما يأتى : « وكان المسلمون ، والمسيحيون ، في الحبشة ، يعيشون مفترقين ، عن بعضهم . لم تكن بينهم عداوة ، ولا حزازات (١) ، ولكنهم كانوا يؤثرون عدم الاندماج ، في بعضهم البعض ، حتى قامت « ايطاليا » تهدد الحبشة ، بالغزو ، والفناء . فاسرع زعماء القبائل الاسلامية ، وكبار تجار المسلمين ، وأعيان « الاوجادين » و « هرر » و « الصومال » يبايعون الإمبراطور ، بالطاعة ، والتفانى ، في الدفاع عن البلاد .

وكان يوم الأحد ١٨ أغسطس سنة ١٩٣٥ يوماً مشهوداً ، في تاريخ الحبشة ، فان أئمة المسلمين ، في يوم الجمعة السابق لذلك اليوم ، بعد أن صلوا بالناس ، صلاة الجمعة ، ألحوا عليهم بأن يذهبوا ، إلى « كاتدرائية مار جرجس » وأن يحضروا قداس الشفاعة ، في يوم ١٨ أغسطس وأقيم القداس ، وإذا بالمسلمين ، يفدون على الكنيسة ، من كل مكان ، ويشتركون في « القداس » ويظهرون القومية ، التي اكتسحت كل الفوارق الدينية ، في ساعة الخطر . اهـ

أقول : انظر الى شعم هذه الطائفة المباركة ، وفضلها ، وكيف نسيت

(١) لعل الكاتب يريد أنه لم يصل الى علمه شيء من ذلك ، وإلا فالواقع

ينكر ما يقوله .

اسمات ١٣٠٠ سنة تقريبا ، احتملتها من الحبشة ، وحكوماتها المسيطرة ، على البلاد ، وتكاثفت معهم ، للدفاع عنهم ، تبذل في معوتهم النفوس ، والأموال فياترى : هل تحفظ لهم حكومة الحبشة هذا الجميل ، وتساوى بينهم ، وبين شعبها في العدل ، والانصاف ، من الآن وفيما بعد ؟

المسلمون هم سور المملكة الحبشية

ان الشعب الحبشى المسيطر على الهضبة ، لو أن لديه شىء من الانصاف لاعطى المسلمين ، الأوج الأعلى ، فى المملكة الحبشية . لأن المسلمين ، هم السور الأعظم المنيع للبلاد ، وعليهم تقع الصدمة الأولى من كل مغير وقاتح . فالدنا كل من جهة الشمال الشرقى - وهم من أقوى المقاتلين فى الحبشة - كلهم مسلمون . وصومال « الأوجادين » فى الشرق ، والجنوب الشرقى ، كلهم مسلمون . و « بوران » و « سداما » و « كفا » فى الجنوب ، والجنوب الغربى ، كلهم مسلمون . و « هرر » كلهم مسلمون ، وقبائل بنى عامر على حدود السودان ، كلهم مسلمون

وجميع هؤلاء المسلمين ، الأقوياء ، الأشداء ، يحيطون بالحبشة ، احاطة السوار ، بالمعصم ، ويطوقونها بقوتهم من جميع جهاتها . فلو لم يكونوا من أشد الناس ولاء ، واخلاصا لها لتألبوا عليها ، مع كل عدو ، يغزوها ، تشفيا وانتقاما مما تفعله معهم . ولكنهم لم يكونوا يوماً مآ خائنين ، بل نراهم يقابلون دونها الصدمة الأولى ، بنفوس مطمئنة ، وقلوب سليمة .

أقوال الجرائد الاسلامية ، عن مسلمى الحبشة

من الناس من لا يعرف حياة المسلمين ، فى الحبشة . بل قد لا يتصور واحد من عالم هذا العصر ، ما يلاقونه من الجور ، وسوء المعاملة . فى بلادهم فيها أكثرية عظيمة ، ولهم فيها الأحقاب الطويلة ، وهم عماد سعادتها الاقتصادية .

لهذا حينما شبت الحرب ، بين الحبشة ، والطلليان ، قامت الصحف العربية - لاسيما - الاسلامية ، تنادى : « ان اعينوا الحبشة »

أما الصحف غير الاسلامية ، فاننا ندعها ، وشأنها ، ونترك لها حرية الرأى ، لأنها لها نيتها الحسنة ، فى الدعوى ، لمساعدة شعب ، معتدى عليه ، ونشاركها فى ندائها ، ولأنها تؤدى هذه المهمة عينها ، فيما لو كانت الحبشة قامت بخيلها ، ورجلها ، تحارب دولة تجاورها ، أضعف منها .

وأما الصحف الاسلامية ، فاننا ، وان كنا لا نذكر عليها مثل هذا النداء الانسانى ، إلا اننا نكلفها أمرا واحدا ، نكتفى به عن إطالة الأخذ ، والرد والبحث فيما لا طائل تحته

والأمر الذى نطلبه منها هو أن تأتى بنسخ من القوانين السارية فى جميع ممالك العالم ، ثم نرجو من صاحب الجلالة «هيلاتسيلاسى» امبراطور الحبشة أن يختار قانونا منها ، ويصدر أمره بمعاملة رعيته ، على ما يقتضيه ، وأن لا يفرق بين المسلمين ، وغير المسلمين ، فى تطبيقه

نقول ذلك ، لأن كل القوانين السارية ، في ممالك العالم ، تشمل على ما يكفل حقوق الافراد ، بين مختلف رعاياها .

ولكن المملكة الحبشية ليس فيها مثل هذا القانون ، وارشادها إلى عمل كهذا ، يعد من أعظم المساعدات التي تقدم اليها ، لأنها تصير باتباعها دولة ذات شأن وشوكة

أقوال جريدة فلسطينية

وقد شذ عن زملائه في هذا الموضوع صاحب جريدة « الجامعة العربية » التي تصدر في « القدس » وكتب مقالا نفيسا ، يندب فيه حظ بلاده ، ويعجب من طلب الجرائد العربية الانتصار للقضية الحبشية ، ننقله بحروفه ، لما ورد فيه خاصا ، بشأن المسلمين في الحبشة .

قال في العدد الصادر في ٣١ مارس سنة ١٩٣٥ ما نصه :

« لم يوجد غير مسلمي الأندلس ، من أصابهم العذاب الذي انصب مدة مئات من السنين ، على مسلمي الحبشة ، وليس ذلك شيئا مضى وغاب ، في ظلمات التاريخ ، بل في زمان قريب من هذا الزمن ، أي منذ ٦٠ أو ٧٠ سنة ، صدرت أوامر الملك « يوحنا » نجاشي الحبشة باكراه المسلمين اجمع على التنصر ، وتنصروا قاطبة في الظاهر ، ورحل منهم قسم كبير ، وثار الذين قدروا على الثورة ، ولم تنته هذه الفظائع الا بموت « يوحنا » فعندها رجع المسلمون الى الاسلام ، ولكن بقي منهم جانب عظيم ، على النصرانية .

والذى عندى من المعلومات عن الحبشة ، بقلم اناس من الثقة الاحباش ، ان مقاطعة « يلو » التى هى مركز الاسلام هناك ، أصبح بها عشرة فى المئة مسيحيين ، بعد ان كانوا مسلمين ، بأجمعهم ، وهذا بضغط الحكومة .

وعدا ذلك فمن المعلوم أن مسلمى الحبشة وهم ستة ملايين لا تعدهم حكومة الحبشة ، كأنهم موجودون ، ولا يوجد فى الحكومة الحبشية مسلمون الا ماندر ، وفى وظائف تافهة جدا .

فالدولة التى تعامل المسلمين ، وهم نصف رعاياها ، بهذه المعاملة ، لا تستحق كل هذا الاندفاع ، فى الدفاع عنها ، من جانب اناس من المسلمين « اه

وكتب أيضا فى العدد الصادر فى ٤ ابريل سنة ١٩٣٥ مانصه :

« ان الحبشة أبعد جدا عن خطر الابتلاع منا نحن الذين فى أفواه

الحياتان .

ان العاقل ينبغى أن يتبصر بنفسه ، حينما يكون السيف فى رقبته ، فلا

يتعرض لما لا يعنيه ، وهو عاجز جد العجز عما يعنيه

اننا نحن على كل الأحوال ، وبدون موارد ، لا نرضى بازالة استقلال

مملكة مستقلة ، كالحبشة ، ولا نوافق على مبدأ استعباد شعب لشعب ، لأننا

نحن واقعون فى هذه المصيبة ، فاذا كنا ننكر هذا المبدأ من أصله ، فليس

من المعقول ، ولا من المقبول ، أن نكون ممن يروج سياسة استيلاء

« ايطاليا » على الحبشة ، ولكننا فى الوقت نفسه نرى فرضا علينا تذكير

قومنا بالأمور الآتية ، لأنها حقائق ، والحق يعلو ، ولا يعلى عليه .

«الأول» : اتنا من الضعف ، ومن الاحتياج الى عضد الدول الكبرى ، بحيث لا نقدر أن نعادي دولة ، كدولة « ايطاليا » واننا لو كنا نقدر أن نستعطف دولتي « فرنسا » و « انجلترا » لكان ذلك من أعظم الاماني ، ولكن مع الاسف ، منذ وضعت الحرب العامة أوزارها ، نحاول استعطاف هاتين الدولتين ، حتى تكفنا عن أذى الأمة العربية ، ولا تريدان أن تسمعا لنا كلاماً ، فنحن في العداوة معهما من قبيل « مكره أخاك لا بطل » وفي أى وقت علمنا ان « انجلترا » تريد أن تقف في وجه المهاجرة الصهيونية ، وتمنعها منعاً أكيدا باتا - لا المنع المصنع الحالى - فانتا نذهب بانفسنا ، الى « لندن » ونأخذ معنا وفداً ، من جميع العرب ، حتى نقدم الشكر للحكومة البريطانية .

«الثانى» : ان الذى يكون فى موقفنا من خطر الابتلاع الاجنبى ، لا يجوز له أن يوزع مجهودات على الغير ، وان ينتصر لاناس هم أبعد الف مرة عن خطر الهلاك منه

الثالث : ليست الحكومة الحبشية هى التى يجب أن نغضب لاجلها ، كل هذا الغضب ، وهى التى منذ قرون تضطهد المسلمين ، الذين فى بلادها ، وتذيقهم الوان العذاب ، وتجبرهم على التنصر « اه

مقالته مجلة الفتح

ان مجلة الفتح التى تصدر فى القاهرة ، تعد من أجل المجلات الاسلامية وانها تكتب عن روية وبعد نظر

لذلك نرى أن لقولها قيمته العظيمة . واليك ماورد في عددها الصادر في ٢٤ ذى القعدة سنة ١٣٥٣ هـ (٢٩ يناير سنة ١٩٣٥ م) ما نصه : « في الحبشة ثلاثة ملايين من المسلمين ، أو يزيدون ، ولكن لا نسمع لهم صوتا ولا نرى لهم أثرا في الحكومة الحبشية ، مع أنهم كانوا فيها ملوكا منذ قرون وقد قيل لنا أنهم أغنى الأحباش

اذن فما لهم لا يجمعون شملهم ، ويوحدون جبهتهم ، ويقومون بعمل يجعل الحكومة تعطيهم من الحقوق ما يتناسب مع عددهم وعملهم . » اهـ

كيف كان الأجدر بالحبشة أن تكون

كتب المستر « درلي Darly » في كتابه المسمى « العبيد وتجارة العاج » المطبوع في لندن . سنة ١٩٢٦ م كلمة أبدى فيها رأيه ، في المملكة الحبشية ، وكيف أنها لم توضع نفسها ، في المركز اللائق ، لدولة لها مثل شعوبها ، وأراضيها ، نقطف منها ما يأتي :

قال : « كان من اللائق بالحبشة ، أن تكون ، قلباً لافريقيا الشمالية ، الشرقية ، ولكن أنى يتأتى لها ذلك ، إذا كانت الشرايين ، المعول عليها ، في تغذية سائر أعضاء الجسم ، خالية من عوامل الحياة ، فطرة منحلة ، فكيف تكون ، حال تلك الأعضاء ، التي أنهكتها سياسة الحكومة ، الحبشية ، القائمة في ارهاق السكان ، وابداء العناصر العربية ، من الحبشة ، يقذف بهم ، في ظلمات الجهل ، والتأخر » اهـ

أقول : انما يقصد بالشرايين المسلمين ، المنتشرين في الحبشة انتشار الشرايين في الجسم ، لأن المسلمين هم ، أهل السكد ، والعمل ، في الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، وهم الوسيلة الفعالة ، لا يصل التغذية ، إلى كافة أعضاء جسم الحبشة فاستنزاف دم هذه الشرايين ، ينتهى بها ، إلى الضعف الذى يعقبه الموت

الخلاصة

نستخلص مما كتبناه ما يأتى : —

(أولا) : ان العلاقات التاريخية ، بين المسلمين والاحباش ، كانت ولم تزل ، علاقات غير محمودة ، لأنها كناية عن سلسلة من الخصام ، محكمة الحلقات .

فن بزوغ فجر القرن الثامن الهجرى ، إلى عهد قريب ، ونار الشقاق مستعرة بين الطرفين ، وقد وقع على المسلمين فيها ، شىء كثير ، من أنواع الظلم ، والاضطهاد ، لا يحسن الصبر عليه . فقد انتزعت منهم ، ممالكهم ، التى اسسوها ، بحزم سادتهم ، ودافعوا عنها ، بعزم قادتهم ، فقوضت عروشهم منها وسلبتهم حقوقها الشرعية ، الموروثة ، بعد أن خربت بها ، بأيدي جيوشها ،

(ثانياً) — إن أكثر عدد من المسلمين ، يقيم في مناطق تعد خارجة عن حدود الحبشة التاريخية فكان يجب أن يتمتع هذا الشعب بكامل حرية ، في الدين والاقتصاد ، والادارة ، فيكون جارة شقيقة لها ، مثل حقوق جارتها وشقيقتها لا أن تعاملها معاملة المستعمرات المحتملة قوة واقتداراً

(ثالثاً) — أن الأكثرية ، الساحقة ، من مسلمى الحبشة ، ليس لها بالأحباش الأصليين . صلة ما ، فالمسلمون الذين يختلفون ، عن الأحباش ؛ من حيث الدين ، يختلفون عنهم أيضا ، في اللغة ، والعنصر ، والعادات ، وفيهم من أصبح على درجة ، جليلة ، من المدنية ، والثقافة ، مما لا يزال الشعب المسيطر عليهم محروما منه

(رابعا) — إن مسلمى الحبشة ، يقاسون الأمرين ، على يد ، أسيادهم الأحباش وهم مكفون ، باعالة جنود شوى ، واحرا ، وخدمتهم بدون أن تدمهم الحكومة . بالمساعدات التي ترفع عنهم الظلم والاذى ، وفداحة الضرائب

الأمبراطور هيلاسيلاسى

للمسلمين بارقة أمل في جلالة الامبراطور « هيلاسيلاسى » في أن يكون النجاشى الثانى ، الذى يشملهم . بالعدل ويحميهم من جور شعبه . ويكون ذا عطف عليهم . كما فعل النجاشى الاول « اصحمة رضى الله عنه » مع آبائهم المهاجرين الكرام . في بدء الاسلام .

أقول ذلك لما أشيع من أنه . على أثر زيارة جلالاته لمقاطعة « هرر » أبدى استعداداه ، لتحسين حال سكانها ، المسلمين ، المساكين ، بتخفيف الضرائب ، التي أثقلت كواهلهم ، مع أخذهم بالعطف والرفق ، ووعدهم بتحسين حالتهم المادية ، والمعنوية ، وقد ظهر بهذه العاطفة بعد تنكره لهم فيما مضى ، وصرحت حكومته ، بأنه لا فرق بين الرعايا المسلمين ، والمسيحيين الأحباش ، أمام قوانين البلاد ، التي لا تنظر الى ماينهم من الفوارق الدينية

على أن المقاصد الشريفة ، العادلة ، وهو جدير بمثلها . قد لا تتم الا في « اديس أبابا » مركز الحكومة ، ويصعب جدا ، أن تشر أى فائدة ، في غيرها من الاقاليم ، إذ من الصعب محاولة تنفيذ عقلية الشعب الحبشى بمجرد الأمر أو أن يقبل ، أى حبشى مسيحي ، أن يتنازل من علياته ، إلى المساواة بينه وبين المسلم ، الذى هو فى نظره أحد عبيده ،

وقد علمنا ، من مصادر يوثق بها ، أن كل رأس من رؤس الحبشة ، له التصرف المطلق ، فى احكامه ، على أهالى اقليمه ، وليس للأمبراطور ، عليه فى ادارة شؤونها ، شىء من السيطرة ، لا قليل ولا كثير ، ولا تربطه بامبراطوره ، الا دعوة الحرب ، ودفع القدر المعلوم من المال

والذى استنتجه من حال الحكومة الحبشية المسيحية مع رعاياها المسلمين أن الأقباش الذين تعودوا أن يعيشوا على كد كواهل سواهم ، يخافون ، من المسلمين الذين يماثلونهم عددا ، ويفوقونهم ، ذكاء ، ونشاطا . اذا تمت بينهم وبينهم المساواة فى الحرية ، والمعاملة ، لا يمضى زمن طويل ، حتى يتفوق العنصر الاسلامى ، من جميع مرافقه ، ويتلاشى ، الشعب الحبشى الأصيل بين يديه ويصبح محكوما ، فى كل شىء ، بعد ان يكون هو الحاكم المسيطر

وهذا رأى يسود الأمة الحبشية من قديم ، ومحال ان ينزع ، من عقيدتها على ان التاريخ اوضح لنا ، باجلى المظاهر ، ان هذه الحكومة ، قد عجزت الاجيال التى مرت عليها ، عن أن تجعلها ، فى الدرجة التى يستحقها ، سكان هذه البلاد ، الخصبة ، من الرقى ، وال عمران ، ولكن لنا من الآمال العظيمة ، التى يشاركنا فيها جميع مسلمى العالم . فى حكمة جلالة الامبراطور

الحالى ، وحسن رأيه ، أن يرد للمسلمين كل حقوقهم ، وأن يقابل جميلهم ،
وقد هبوا لمساعدته ، بالأرواح ، والأموال ، فى هذه الأزيمة ، الضروس ،
بما يستحقون من الرعاية والعطف ، والله يجزى الشاكرين ،

واجب اللجنة العامة للدفاع عن « القضية الحبشية » نحو الاسلام

بما يجب علينا أن نستبشر به ، ونعده واسطة ذات أثر مفيد ، فى
تحسين حال المسلمين ، فى الحبشة ، هذه اللجنة المباركة التى قامت ، فى مصر ،
للدفاع عن « القضية الحبشية » وعلى رأسها الأمير الجليل ، نجر الأسرة
المحمدية العلوية ، صاحب السمو « عمر طوسون باشا » ويمده برعايتها
صاحب الغبطة « الانبا يونس » بطريرك الأقباط الأرثوذكس ، المصلح
القدير . وصاحب العزة الدكتور « عبد الحميد سعيد » رئيس جمعية الشبان
المسلمين ، بمصر ، ونائب اللجنة . ومن معهم من كبار الأمة المصرية - مسلمين
وأقباط - أن تجعل مهمتها بعد ذهاب هذه المحنة المدهمة ، اقناع جلاله
الامبراطور « هيلاسيلاسى » بان مصر القائمة على عنصرى . المسلمين ،
والأقباط ، تتمنى من صميم أفئدة أبنائها - حكومة ، وشعبا - فى أن يمد
للمسلمين فى الحبشة يد المعونة ، والمساعدة ، فى ترقية شؤونهم ، ويحافظ على
تنفيذ شعائرهم الدينية ، كما تقتضيا شريعتهم الغراء ، ويسوى بينهم بالعدل
أمام القانون ، ويسهل لهم كل سبيل يرون لهم فيها مصلحة نافعة ، وان يتخذ

من رجالهم « الاكفاء » لحكومته ، كما يتخذ من الاحباش المسيحيين ،
وأن يساعد جمعياتهم ، العلية ، والدينية ، ويحميها من عبث الجاهلين
بذلك يكون قابل جميل اللجنة بمثله ، بل وبأحسن منه

الخاتمة

تم بحمد الله ، وحسن توفيقه ، هذا الكتاب ، الذي أوضحت فيه حال
الاسلام في « المملكة الحبشية » وكيف يعيش المسلمون هناك
وقد ألفته وأسرعت في اظهاره ، لأغتنم فرصة جعله وسيلة ، لتحسين
حال اخواننا في الدين ، مع اخوانهم في الجوار
هذا ولا أنسى ما قام به صهرى حضرة الأستاذ الاديب ، والبحاث المحقق
« أحمد سعيد البغدادى أفندى » من المعونة لى فى اظهار هذا الكتاب ،
الى الوجود ، بما أمدنى به فى كثير من أبوابه
كما أذكر بالشكر صديق حضرة الأستاذ الكاتب القدير « بولس
مسعد » الذى ساعدنى فى الحصول على بعض الوثائق الافرنجية ، وترجمتها
جزاهما الله تعالى خيرا على هذه الخدمة التاريخية الجليلة

المؤلف
يوسف أحمد

(٢١ شعبان سنة ١٣٥٤ هـ) و (١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٥ م)

فهرست الكتاب

ص	الموضوع
٤	تمهيد
٦	علاقة الحبشة بالعرب
٧	احتلال الحبشة لليمن
١١	هجرة الصحابة إلى الحبشة
١٢	الهجرة الأولى
١٤	الهجرة الثانية
١٨	كيف كانت البطارقة تؤذى المهاجرين
٢٠	الاسلام في الحبشة من بعد الهجرة
٢١	أول سرية اسلامية للحبشة
	احتلال السواحل الحبشية اقتصاديا
٢٣	مناعة بلاد الحبشة
	انتشار الاسلام في الحبشة
٢٣	كيف وأين نشأت أول دولة اسلامية في الحبشة
٢٧	الرخاء في الممالك المذكورة
	نظام التوارث في عزوش هذه الممالك
٢٨	غموض تاريخ الاسلام في الحبشة قبل القرن الثامن
٣١	ماذا كانت تضم الحبشة للسليين
٣٢	الاسلام والحبشة في القرن الثامن
٣٣	حدود الحبشة وقتئذ
٣٥	واقعة صمبر كورى
	واقعة بادقى
٣٩	ضعف السلطنة الاسلامية
	تحرش الدولة العثمانية بالحبشة

ص	الموضوع
٤٠	تأثير الاسلام في الحبشة النجاشى المسلم
٤١	نجاشى آخر مسلم
٤٢	بقية السيف أكثر عدداً
٤٤	النهضة الاسلامية في الحبشة محمد رءوف باشا حاكم هرر
٤٥	تعدى الأحباش على هرر الاسلامية
٤٦	حرق جامع غوندار واضطهاد المسلمين
٤٧	الحملة المصرية على الحبشة
٤٨	اكراه خمسين ألفاً من العامة على التنصر الانتقام الالهى من النجاشى يوحانس انشودة حماسية ضد المسلمين
٤٩	النجاشى منليك والاسلام
٥٠	سلطنة جما الاسلامية
٥١	كيف كانت سلطنة جما في نظر المسلمين
٥٣	الغاء سلطنة جما الاسلامية وضمها للحبشة
٥٤	زواج الرؤس المسيحيين بالنساء المسلمات في الحبشة
٥٦	تنصير المسلمين في الحبشة
٥٩	مواطن الاسلام داخل حدود الحبشة
٦٠	تعداد المسلمين في الحبشة
٦١	اسماء الشعوب الاسلامية في الحبشة
٦٢	لغات المسلمين في الحبشة
٦٢	المذاهب الاسلامية في الحبشة
٦٣	نشاط المسلمين الطبيعى في الحبشة الصناعة والزراعة والتجارة
٦٥	سهولة نشر الاسلام في الحبشة بين الشعوب الوثنية

٦٦	تأثير الطرق الصوفية في نشر الاسلام
٦٧	حسنات الطرق الصوفية في الحبشة
٦٨	علاقة مسلمي الحبشة بالممالك الاسلامية
٦٩	البعثة الأزهرية للحبشة
٧٥	درجة الثقافة الدينية والعلمية ، عند مسلمي الحبشة
٧٨	حالة مسلمي الحبشة بالنسبة لشعبها المسيحي
٧٩	الشريطة الزرقاء
٨٠	شهادة أجنبي خال من الغرض المسيحي . والمسلم . أمام القضاء ولأثم الرؤساء . والحكام . في المواسم
٨١	تحصيل الضرائب من المسلمين
٨٢	الممالك التي اغتصبتها الحبشة من المسلمين الجيوش الخاضعة ضمن الجيش العام
٨٣	تقسيم سكان الحبشة في نظر رحالة سويسري
٨٤	نقص السكان في المدن الاسلامية
٨٧	شهادة حبشي وثني
٨٩	الجمعيات الخيرية الاسلامية بالحبشة
٩٠	مراتب قضاة الاسلام ، وأئمة المساجد ، في الحبشة المسلمون في المناطق المتاخمة للحبشة
٩٦	ولاء المسلمين . لحكومة الحبشة ، واخلاصهم
٩٨	المسلمون هم سور المملكة الحبشية
٩٩	أقوال الجرائد الاسلامية ، عن مسلمي الحبشة
١٠٠	أقوال جريدة فلسطينية
١٠٢	ما قالته مجلة الفتح
١٠٣	كيف كان الأجدد بالحبشة أن تكون
١٠٤	الخلاصة
١٠٥	الأمبراطور هيلاسيلاسي
١٠٧	واجب اللجنة العامة للدفاع عن « القضية الحبشية » نحو الاسلام
١٠٨	الخاتمة